توزع مجانا
Distirbuted Free
العدد الثاني كانون الاول
سياسية . اجتماعية . اقتصادية . مستقلة

هل للكرد مشروع وطني في سورية؟

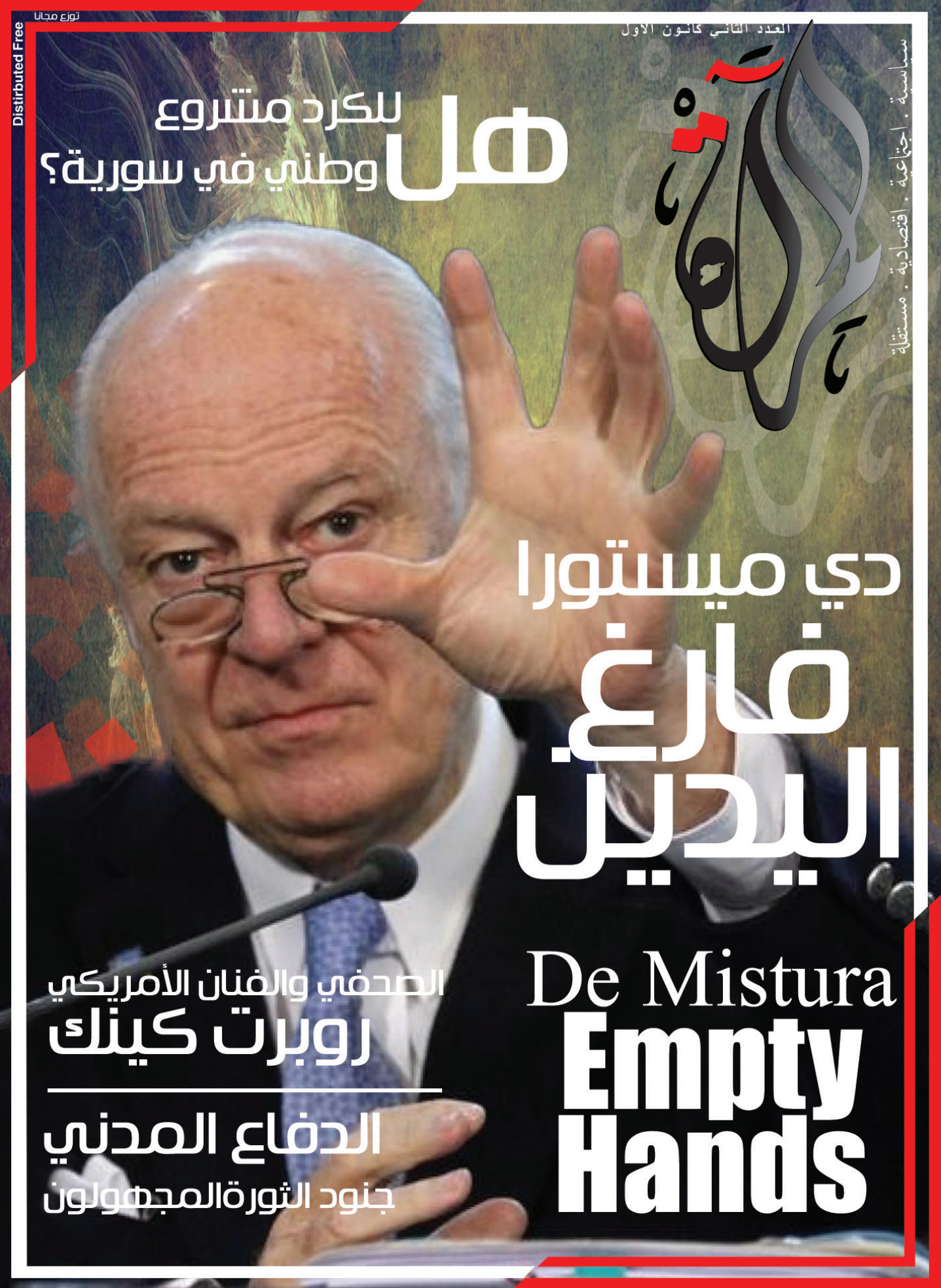

دي ميستورا فارغ اليدين

De Mistura Empty Hands

الصحفي والفنان الأمريكي روبرت كينك

الدفاع المدني جنود الثورة المجهولون

انحياز محمد الدابي ـ رئيس بعثة الجامعة العربية إلى سورية من ديسمبر ٢٠١١ حتى يناير ٢٠١٢ ـ لنظام الأسد أفشل مهمته.

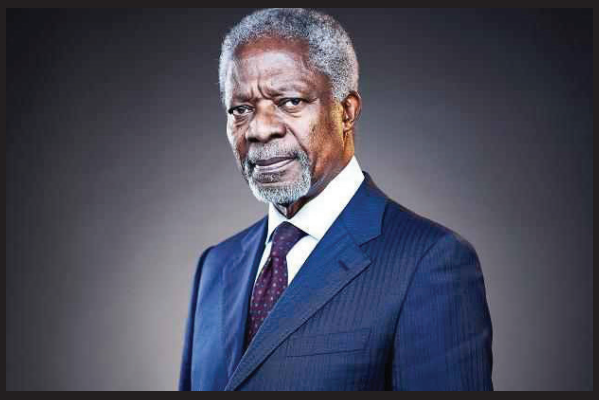

لم يستطع كوفي عنان ـ موفد الأمم المتحدة إلى سورية من مارس ٢٠١٢ حتى اغسطس ٢٠١٢ ـ التعامل مع كذب نظام الأسد وتزييفه للحقائق, مما كلفه الكثير من المصداقية السياسية.

حاول الأخضر الإبراهيمي ـ موفد الأمم المتحدة إلى سورية من سبتمبر ٢٠١٢ حتى يناير ٢٠١٤ ـ أن يكون حيادياً, فمنعه نظام الأسد دخول دمشق.

ستيفان دي مستورا ـ موفد الأمم المتحدة إلى سورية من يونيو ٢٠١٤ حتى الآن.....؟!

افتتاحية العدد

بقلم رئيس التحرير

هذه المرَّةُ الرَّابعة التي يتم فيها إرسال مندوب إلى سورية، بعد الدَّابّي وكوفي عنان والأخضر الإبراهيميّ. بعد أن فشِلَ الثلاثةُ السابقين بالتغلب على ألاعيبِ النظام وأساليبه في التنصُّل والكذب وتزييف الحقائق...

زارَ السَّيد ستيفان دي مستورا دمشقَ، والتقى هناك برأس النظام، عارضاً عليه فكرتَه عن تجميدِ القتال في حلب؛ ولنفس الغاية التقى العشراتِ من المعارضة في تركيا!

وكالعادة مع كلِّ المبعوثِين الدّوليّين السّابقين، قال له النظام: إنَّ الفكرةَ جديرةٌ بالدراسة! أمَّا في تركيا فقد تعدَّدتِ الرُّدود، وتشعَّبتِ الآراء...

وما نراه أنَّ النِّظامَ هو الآن في أسوَءِ حالاته، حيث أنَّ أسعارَ النفط في تدهورٍ مستمرٍ،مما أثّر على الإقتصاد الروسي و أصبح سعر الدولار ٦٠ روبلاً، بينما كان أكثرَ من ٣٠ بقليل. وهذا ينطبقُ على إيران أيضاً. أضِف إلى ذلك العقوباتِ الاقتصاديةَ على البلدَين، وتكاليفَ الحرب الباهظة، وإفلاسَ النظام. كل ذلك أخذ يشكل عبئاً ثقيلاً عليهما لم يعد يحتمل,فبدؤوا بإرسال الرسائل، وكذلكَ إبلاغ الزائرين بأنَّهم غيرُ متمسِّكين بالمجرم بشار؛ ويمثل ذلك فرصةً يجب على السيد دي مستورا اغتنامها!

وفي نفس الوقت تقتربُ الثورة من عامِها الرابع، وقد تعب الثوارُ كثيراً، أضِف إلى ذلك فسادَ المعارضة السياسية، ما جعل الشعب السوريَّ في وضعٍ صعبٍ جداً.. كل ذلك يَصُبُّ في إمكانية إحراز تقدُّمٍ، ولكن من خلال المناقشات التي أجريتُها مع محيط دي مستورا القريب، ومع المتحدثة باسمه جولييت توما، تبيَّن لي أنَّ الفكرةَ غيرُ ناضجةٍ بعدُ. فهي بحاجةٍ إلى بلوَرَةٍ، وصياغتها على الورق. ويتضمَّن ذلك أيضاً آليَّة لضمان التنفيذ، ووضعها ضمنَ الخطة.

أمَّا عن اعتقاد دي مستورا بأنه يمكنُ إصدارُ قرارٍ من مجلس الأمن لتطبيق الخطة فهو غير مؤكَّدٍ بعدُ.. إنه يدرك ويعلم جيداً كذِبَ النظام وعدمَ مِصداقيته وقدرته على تزييف الحقائق، يساعده في ذلك شركاتٌ غربيةٌ مختصَّة في العلاقات العامَّة، يدفع لها النظام أموالاً طائلة. ولذلك نعتقد بوجوب أن يكون قرار مجلس الأمن تحت البند السابع، إذا كان المجتمع الدولي صادقاً فعلاً في العمل على إيجاد حل!

لم نكُن نتوقع أن يأتي السيد دي مستورا خاوي اليدين، وكل ما لديه كان بفمه فقط. فهل يعود قريباً وفي يديه شيءٌ يقدمه غير الكلام؟.. ننتظر ذلك عما قريب!

المجلة غير ملزمة بنشر كل ما يصلها من مواد؛ والمواد المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي هيئة التحرير .

3 الافتتاحية

هل للكُردِ مشروعٌ وطنيٌّ سوريٌّ؟

6

أسباب الفشل الثوري

10

الهروب من أنفسنا

12

مِن الاغتراب القسريّ إلى اللجوء:
السوريّون في مشتهديَّة عالمٍ سيلعنه التاريخ

14

مجلة

The Mirror Syrian شهرية مستقلة
Monthly Political & News Magazine

تصدر عن دار الشمال والجنوب للدراسات الإستراتيجية
حلب - سوريا

هيئة التحرير

رئيس التحرير ،والمدير المسؤول:
ياسر الحجي

مدير التحرير:
د.علي حافظ

المترجم ، وسكرتير التحرير:
محمد الموسى

المدقق اللغوي :
م. اليونس

الإخراج الفني:
ابراهيم جودت

Owner & Editor in chief:
Yasser All Haji

Editor :
Dr. Ali Hafez

Staff :
Mhd Al mousa
M. Alyounes
ibrahim jawdat

Published By :

South & North For Stratigic Studies
SNSS
Aleppo - syria

التّعاملُ مع الصّدمة: دعم الشّباب اللاجئِين

17

رجالُ الدّفاع المدنيّ
جنودُ الثورةِ المجهولون

20

حمص عاصمة الألم

23

لقاء مع الصحفي والرسام الأمريكي روبرت كينك

26

داعش تجني الملايينَ من التّحفِ المسروقة

30

في العدد أيضاً

33
مايا انجيلو* ... شاعرة الفقراء التي اهتم بها الرؤساء

35
شعر ... ثورة الحرية

37
قصة ... غرفة الحجز

39
قصة ... ثقف في الحائط

40
الفنُّ التشكيليُّ في ظلِّ الأحداثِ الكبرى

43
لوحة "ماسح الأحذية" للفنّان لؤي كيّالي

45
فيلمُ الطبيب
* محاولةٌ جادةٌ لإنصافِ العرب

46
وراء الكواليس ..

50
آفـــاق

هل للكُردِ مشروعٌ وطنيٌّ سوريٌّ؟

مُحمد جيجك *

الكثيرُ منَ الأصدقاء يسألونَني بينَ حينٍ وآخرَ: ما هو المشروع الكرديُّ في سوريّة؟ البعضُ صاغ سؤاله بوضوحٍ أكثرَ: هل للكُرد مشروعٌ وطنيٌّ سوريٌّ أم لا؟

بدايةً أريد أن أنوّهَ بأنّني لستُ سياسيّاً بما تشير الكلمةُ في دلالتها المباشِرة، لكنْ لكلِ رأيُه في الأحداث التي تجري حولَه، ومن خلالِ مُعايشتي للأحداث وتطوُّراتها، يمكنني أن أضعَ تصوُّري في صياغة جوابٍ للسّؤال أعلاه.

تواترَ السؤالُ على نطاقٍ واسعٍ في المشهد السّوريّ، لاسيّماً في الآونةِ الأخيرةِ تحت طائلة المستجدّاتِ المتسارعةِ في مسار الثورة السّوريّة، جعله أكثرَ حضوراً وَوُضوحاً، بل و"تحدياً جدّياً" من قِبَلِ الأطياف السّياسيّة السّورية عموماً، بعد دخول البيشمركة إلى "كوباني - عين العرب"، الذي قُوبِل بترحيبٍ حارٍّ من كلِّ الشّرائح والفئات الكرديّةِ المتباينة في رؤاها السّياسيّة. هذه الحفاوةُ التي استقبلتْها أطرافٌ منَ المعارضةِ السّوريّة بشُكُوكٍ في نوايا حلفائِها الكردِ، لكنّها تريثّتْ في إبداءِ رأيٍ صريحٍ، ولم تمتعضْ جهراً، كما فعل طَيفٌ آخرُ منَ المعارضة الّتي لم تبخلْ في التعبيرِ عنِ استيائِها، بحيثُ التقتْ معَ النظامِ في صياغة رفضها: "إنّ دخولَ البيشمركة إلى كوباني هو انتهاكٌ للسّيادةِ الوطنيّةِ السّوريّة" ـ كما قالَ العقيدُ رياض الأسعد أحدُ مؤسّسي الجيشِ الحرّ! مشروعيّةُ السّؤال قائمةٌ منذُ نشأةِ الحركةِ السّياسيّة الكرديّة عامَ ١٩٥٧، هذه الحركةُ التي تقلّبتْ في صياغة برنامجها السّياسيّ أكثرَ من مرّةٍ، أوّلها كانتْ إبّانَ حملةِ الاعتقالات التي طالتْ قياداتها في بداية السّتّينات، الحالة التي دفعت تلكَ القيادات لمراجعة شِعاراتِها، فحصل أوّلُ افتراقٍ في آرائها، بينَ طرفٍ أراد صياغةَ مشروعٍ وِفقَ منظورٍ سوريّ وطنيّ، وبادرَ بسرعةٍ إلى تغييرِ اسمِ الحزبِ كإجراءٍ آنيّ للإيحاء بحسنِ النيّة، مثلَ "الحزبِ الديمقراطيّ الكردستانيّ" الذي أصبحَ "الحزبَ الدّيمقراطيَ الكرديّ في سوريّة"، كي يُوحُوا لقضاةِ المحكمة أنّ الحزبَ هو سوريٌّ، وسقفُ أهدافه الدّفاعُ عنِ الوجودِ القوميّ في سورية. ربّما كان ذلك الإجراءُ تحايُلاً على قُضاة المحكمة لاستبعاد تهمة الانفصال، ولتخفيفِ حكم الإعدامِ الذي صدر بحقّهم؟ أمّا الطّرفُ الآخرُ، فظلَّ متمسكاً باسمِ "الكردستانيّ" للدّلالةِ أنّ مشروعه يمتدُّ لخارجِ الحدود السّورية، لكنه كان ضعيفاً، فلم يتسنَّ له بَلْوَرَةُ مشروعه في تنظيمٍ سياسيّ منافسٍ للطّرف الأول.

تتالتِ الانقساماتُ في الحزبِ الأمّ حتّى تعذّرَ على الكرديّ معرفةُ عددِ الأحزاب التي تولدتْ بخصوبةٍ، إلا أنّ كلَّ الأحزابِ الوليدة من الحزب الأمّ لم تشذَّ في طروحاتها

السّياسيّة للحلّ عن أمّها، إلاّ في قشور المفاهيم.. كذلك حافظتْ على بنية رؤيتها في تصوّر الحلّ: "إنّ حلّ القضيةِ الكرديّة مرتبطٌ بإيجاد نظامٍ ديمقراطيّ حقيقيّ في دمشقَ".. مشكّلة بهذا التصوّر، قطعية مقنعة "ظاهرياً" لربط مصيرها بالأجزاء الأخرى من كردستان، لكنها أبقتْ رابطَ التواصل في حدود التعاطف القوميّ.. لقدِ اختارتْ هذه الأحزابُ السبلَ السلميةَ للوصول إلى تحقيقِ مطالبها، مكتفيةً بتقديمِ العرائض الاحتجاجيّةِ على إجراءٍ ما من قِبَلِ السلطة، أو مطالبَ جزئيةٍ هنا وهناك.

مع قدوم قياداتِ حزبِ العمال الكردستاني "الفارّينَ من بطشِ كعنانَ إيفرين" في بداية الثمانينات، حاملةً في جعبتها مشروع كردستان الكبرى، طرحتْ على الملأِ القضيّةَ الكرديّةَ في مستواها الكردستانيّ، ممّا أثار اضطراباً في سكينة الأحزاب الكردية السورية، بعد تحريضِ جماهيرِ تلكَ الأحزابِ على التساؤلِ عن مصيرِ "كردستان الكُبرى"؛ دفعها ـ مُكرَهةً ـ إلى معالجةِ برامجها، تحتَ إلحاحِ الحواراتِ السّاخنة حولَ شعارِ حقّ الأممِ في تقريرِ مصيرها؛ فأُجبِرَ بعضُها على إقحامِ شعارِ حقِ تقريرِ المصيرِ في برنامجها السياسيّ على عُجالةٍ بدون تنظيرٍ مناسبٍ لهُ، مما فسّر هذا الترقيعَ لبرنامجها، بأنه للاستهلاك الجماهيريّ في مواجهة تمدّد حزب الـ "بي. كي. كي."، الذي دغدغَ بشِعاراته الكردستانيّةِ حُلمَ الكرديّ، واستمال عطف فئاتٍ شعبيةٍ واسعةٍ نحوه، لاسيّما بعد إعلانه الكفاحَ المسلّحَ المنظّم عامَ ١٩٨٥. لكنّ تمددَه كُبح بسبب بعض الهفوات التي ارتكبها زعيمُه عبدُ اللهِ أوجلان، حيث نفى مِراراً وتِكراراً الوجودَ القوميَّ للكردِ في سورية، حينَ قال: "أكرادُ سوريةَ مهاجرون ولا وجودَ لكردستانَ في سوريّة"؛ ما جعله يتلقّى الدّعم من نظامِ الأسدِ الأبِ!

هذا النُّكرانُ الذي استهجنتْهُ عمومُ الشرائحِ الكرديّة، والتي استثمرتْها الأحزابُ الكردية لتقويةِ هجومها على هذا الحزبِ الوافدِ بمغامراتٍ لا تُحمَدُ عقباها ـ حسبَ تصوّرهم ـ والتمسك بصواب رؤيتها السياسيّة لحلّ القضيّة الكرديّة في سورية؛ لا بل قاموا بالمزاودةِ بشِعاراتِهم، مُعتبرينَ "كردستانَ سوريةَ" جزءاً من "كردستانَ الكبرى"؛ وأنّهم لن يتنازلوا عنها لصالح أيّ جزءٍ آخرَ، أو تحالفٍ حزبيّ آنيّ، ممّا أتاح لها كسبَ رضى جموعِ المثقّفينَ وطلبةِ الجامعاتِ والمتعلّمينَ، بينما راح حزبُ الـ "بي. كي. كي." يقوّي من حضوره في الأوساط الشعبيّة والريفيّةِ الفقيرةِ.

الذي حدث في خِضَمّ الصراع الدامي بين حزب الـ "بي. كي. كي." مِن جهةٍ، ومجموعِ الأحزاب الكرديةِ السوريةِ من جهةٍ أخرى، أنّ الأخيرةَ أعادتْ قراءةَ برامجها من جديدٍ، لمواجهةِ شطط الـ "بي. كي. كي." في طرح شعار "تحريرِ وتوحيدِ كردستان الكبرى"، فاجترحتْ معادلةً توافقيةً بينَ حضور كردستان في مشروعها، وواقعيّةِ وجودها في إطارِ الدّولةِ السّوريةِ.. جاءتْ هذه الصّيغةُ التّوافقيةُ كَرَدِّ فعلٍ ارتجاليّ، فأدرجتْ في برامجها حقلاً آخرَ بجانب حقلِ القضيةِ الكرديةِ في سورية، يعتبرها جزءاً من المشكلة الدّيمقراطيّة السّوريّة عموماً. ذاك الحقلُ الذي يوضّحُ الانتماءَ للأمّة الكردية، وسُمّيَ بالبعدِ الكردستانيّ للكرد في "غرب كردستان"؛

فشرعتْ تجتهد في شرح هذه الرُّؤيتَيْنِ المتناقِضَتَيْنِ لجمهورها: "البعد السوريّ الوطنيّ"، و "البعد القوميّ الكردستانيّ". لكنّها فشلتْ، بل أدخلتْ نفسها في متاهاتٍ وأروقةٍ مظلمةٍ، حيثُ بدا عليها الارتباكُ والتردّدُ وعدمُ الوضوح في آليّة التواصل مع أطياف المعارضة السّورية، التي عرقلتها في أكثر من مفصلٍ لاحقاً، حيث تجلّى مردودُ هذا

الارتباك بشكلٍ واضحٍ مع انطلاقة الثورة السورية.
بادرتِ الأحزاب الكرديةُ إلى الانخراط بالثورة في الشهور الأولى لها، عدا الـ "بي. واي. دي." ـ الفرع السوريّ لحزبِ الـ "بي. كي. كي."، الذي عارض الثورة في أسبوعها الأول؛ لكنْ سُرعانَ ما انكفأتْ تلك الأحزابُ وتراجعت عن مشاركتها، متذرّعةً بحُجّةٍ هنا وحُجّةٍ هناك؛ حتى تراكمتِ الحُجَجُ، وأفصحت عن نفسها تحتَ عبارةٍ قصيرةٍ "إنّ المعارضةَ لا تعترف بالوجود الكرديّ في الصّيغة التي نحن نريدها "؛ ممّا أتاح للـ "بي. واي. دي." استغلالَ هذا التباعد الذي لا يخصّه، فرصةً للتّدلّل والتّعالي، كي تقتنصَ أقصى اعترافٍ بها، كشرطٍ مسبَقٍ لمعاودة انخراطها في الثورة، مما زاد الشرخَ بينهما؛ ما دفع بعضَ الأحزاب الكردية الصغيرة إلى مراجعة موقفها من سياسة الـ "بي. واي. دي."، الذي استحوذَ بالمطْلق على القرار الكرديّ، وفرض مشاريعه عنوةً ـ الإدارة الذاتية ـ وتحت حالة سلطة الأمر الواقع، مما أحدث بدوره شرخاً عميقاً في جسد الحركة السياسية الكردية ذاتِها، فقد انضمّتْ أحزابٌ لـ "الإدارة الذاتية"، ونأتْ أخرى بنفسها عن المشاركة، لكنّها لم تعترضْ، في حين ذهبتْ بعضها إلى أحضان الائتلاف بعد فوات الأوان.

طالما حدّدَ موقفه من الثورة مسبقاً وانخرط في تيّارِ الخطّ الثالث، بدعوى أنّ الثورةَ إسلاميةٌ ولا تعترفُ بالحقوق الكرديّة ـ كما النّظامُ الذي لا يعترف بهذه الحقوق! سارع الـ "بي. واي. دي." إلى تأجيج الشعاراتِ القوميّةِ الضيّقة، معتبراً أن مصلحةَ الكردِ تكمنُ في الحياد، طالما الاثنان - الثوارُ والنظامُ - لا يعترفان بالوجود الكرديّ!
بمساعدةِ الآلةِ الإعلاميّةِ الضّخمة لهذا الحِزبِ، المترافقةِ مع ظهوره المُسلّح، فرض نفسه كحامٍ للوجودِ الكرديّ، بدعوى الوقايةِ من تَبِعَاتِ الصّراعِ بين السُّلطة والثورةِ

لملمتْ أحداثُ كوباني الحركةَ السياسيةَ الكردية بكلّ أطيافها، وأعادتها إلى طاولةِ الحِوار في مدينة دهوك، للتفاهم حولَ وحدةِ الصّفّ، التي طالما كانتِ المطلبَ المُلِحَّ للشارع الكردي منذُ بداية الثورة.. هذا الشارع الذي لا تعنيه استراتيجيّاتُ الحل، بقدر ما تعنيه وحدةُ الصفّ الكرديّ تحتَ أيّ شعارٍ كان!
رغمَ فشلِ التفاهمات السابقة بينهم في "هولير ١" و"هولير ٢"، إلّا أنَّ مسعودَ البرزانيَّ استطاعَ إقناعَ كلّ الأطراف مرة أخرى، بتلبية دعوته للتفاهم "تحتَ ضغط المستجدّاتِ الإسلاميةِ ـ حسبَ تعبيره ـ واستطاع أن يَكْبَحَ نشاط أيَّ حزبٍ كرديّ معارضٍ للنظام، ويشلَّ حركةَ جميع الأحزاب الأخرى، ويفرضَ إرادته عليهم بقوّة السّلاح.
لعبتِ القيادةُ السّياسيّة للثورةِ دوراً سلبيّاً، حينَ أقصتِ الحركة الكردية ولم تبادرْ إلى التحالف معها، حيث تماطلتْ هذه القيادةُ في التوافق على صيغةٍ ديمقراطيةٍ لإرضائها، ولجأتْ إلى إرجاءِ كلّ ما يتعلقُ بالشأنِ الكرديّ إلى ما بعدَ نجاح الثورة، متجاهلةً حساسيةَ الحالةِ الكردية وظروفَ وجودها وصراعاتها الداخليّة، بالمقابل وجدتِ القيادةُ السياسيةُ الكرديةُ على الأرض"، وبإيعازٍ من قِوى التحالف لضرورة وحدة الكرد في كوباني، حتى يُتاحَ لها دعمُهم في مواجهة "داعش"، طالما أنّ الـ "بي. واي. دي." غيرُ مرغوبٍ به من قِبَلِ قوى التحالف.
اشترط الـ "بي. واي. دي." الذهابَ إلى دهوك برعاية حزبه الأمّ tev-dem (منظومة المجتمع الديمقراطيّ التي تنضوي تحتَ اسمِها فروعُ حزب الـ "بي. كي. كي." في أجزاءِ كردستانَ الأربعةِ)، وذلك لخلق توازنٍ في مسار التفاوضِ مع البرزانيّ الذي بدوره رعى أحزابَ المجلس الوطنيّ الكرديّ. وبعد مخاضٍ عسيرٍ انبثق

عن "دهوك" بضعُ تفاهماتٍ انصبّتْ مجملها في صالح الـ tev-dem، حيث كسب من المفاوضاتِ شرعيةَ وجوده كسلطةٍ قائمةٍ على المناطقِ الكرديةِ، الأمر الذي أراح قادة "الإدارة الذاتية"، طالما بإمكانهم التعطيلُ، أو "المماطلةُ" بتنفيذ أيّ بندٍ منَ اتفاق لا يخدم مشروعهم، حتى يتضح مسار المعارك في كوباني.

مما تقدم نستنتجُ بأنّ الإرادةَ السياسية الكردية في سورية مرهونةٌ في قراراتها المصيريّة لمرجعياتٍ كردستانيةٍ خارجية، أكثرَ من أنْ تكونَ مرجعيةً سوريةً وطنيةً، كما تدّعي في خطابها الظاهريّ: "الكردُ جزءٌ من الشعب السوري، وليسَ لنا مطلبُ تشكيلِ كيانٍ كرديّ مستقِلّ" ـ كما قال صالح مسلم ـ وكذلك تصريحاتُ قادةِ المجلسِ الوطني الكرديّ ـ العضو في الائتلاف السوري المعارض ـ الذين لا يغفلون عن قول إنّ حلّ المشكلة الكرديّة في سوريةَ مرتبطٌ بالحلّ الديمقراطيّ في عموم سوريّةَ، لكنّهم لا يقدرون على اتخاذِ أيّ قرارٍ يخُصُّهم سورياً بدونِ استشارة "الأخ مسعود البرزانيّ"!

فشلتْ عمومُ الأحزابِ الكرديّة في أنْ تكونَ أحزاباً سورية وطنيةً، أو تكون أحزاباً كردستانية انفصالية، معتقدةً أنّ السياسةَ هي الرقصُ على الحبال، وليست وضوحاً للرؤية وكشفاً للاستراتيجيّاتِ.

وأنّ الاستراتيجيةَ تفرضُ ممارسةَ تكْتِيكاتِها المناسبة!

نستشِفُّ من سلوكيّات هذه الأحزاب، بأنها تريد تحقيقَ مطالبها قبل الشروع بالعمل من أجل تحقيقها..

إنها لم تقتنعْ بعدُ بأن لا هدفَ يتحققُ بدون العمل من أجله كما يجب، فجُلّ تضحياتها ـ منذ نشأتها ـ تلخصت بمطالبة المستبدّ بأن يكون رؤوفاً، بدلاً من أن تحرّض جماهيرَها على التمرد.. هذا الفشل الذي انعكسَ وتعزّز سلباً في وجدان الإنسان الكردي، بات قلقاً مضطرباً في تحديد انتمائه الوطني: هل هو سوريُّ الهوية أم كردستانيّ؟

تجلى ذ لك في موقف هذه الأحزاب من انتفاضةِ ٢٠٠٤، حيثُ وقفت ضدّ إرادة جماهيرها، وَوَأدتِ الانتفاضةَ بذريعة أن الكردَ وحدَهم لا يستطيعون قيادةَ ثورة؛ وكذلك كبحتْ جمهورَها ـ مرةً أُخرى ـ من التفاعل مع ثورة ٢٠١١، بذريعةٍ مناقضةٍ لما قالته في عام ٢٠٠٤، بأن مصلحةَ الكردِ هي في الابتعاد عن الثورة، والبحث عنِ المكاسب القوميّة بدون تقديم تضحيات.

الأحزابُ الكردية الفاعلة ـ التي لها تأثير على الأرض ـ لم، ولا تملكُ مشروعاً وطنياً سورياً، ولا مشروعاً كردستانياً انفصالياً، إنها أحزابٌ تمارسُ سياستها في الهواء "شريك الريح"؛ حيث تجد منفعةً لحزبها، وليس لمبادئها المعلنةِ في برامجها.. المنفعة بمفهومها الشخصيّ، تكون هناك، فتارةً تراها ترفعُ سقف الشعار حتى المطالبة بالفيديرالية، وتارة أُخرى تكتفي بالاعتراف بالوجود الكرديّ ضمنَ صيغة المواطنة في ظلّ نظامٍ مدنيّ ديمقراطيّ، وتارةً أُخرى ـ وهذا ما يحدث في الوقت الرّاهن مع مجريات أحداث كوباني واستشفافِ انتصارها ـ أنها مالت لفصل الملفّ الكرديّ عن الملفِّ السوريّ، بحيثُ تكون إحدى بنودِ تفاهمات "دهوك" هي التشاركيةُ مع الـ "بي. واي. دي." في إدارة مناطق "الإدارة الذاتية". وبهذا تكون قد حسمت أمرها ـ مؤقتاً ـ لصالح البعد الكردستانيّ، الذي يقوده البرزانيّ من أربيلَ، وجميل بايق من قنديلَ.

نبذة عن الكاتب

* محمد جيجك كاتب سوري من مواليد حلب 1967، يقيم حالياً في سويسرا.. مقل جداً بالنشر، فقد نشر في عدد من مطبوعات الثورة، مثل: بصمة حلب، حنطة، كلنا سوريون، إيقاعات ثقافية ...

أسبابُ الفشلِ الثوريّ

د. أحمد إدريس الطعان

مِن أسباب الفشل الثوريّ :تَعدّدُ المشروعات المذهبيّة الإقصائية التي تعتبر اجتهادَها في العقيدةِ والسياسةِ الشرعيةِ هو وحدَه الحقّ، وما سواه باطلٌ يجب أن يُحارَب بكلّ الوسائل. لقد كان الخلافُ في البداية واضحاً ومتوقّعاً بين المشروع السّلفيّ من جهة والمشروع (الصوفيّ، الأشعريّ، الوسطيّ) من جهةٍ ثانية. والخلاف بين المشروعَين خلافٌ عميقٌ من حيثُ الواقع، وليسَ من حيث الحقيقةِ، فقد قامتِ الحكوماتُ عبرَ العقودِ الماضية بتعميقِه، ولعبَ آلُ سعودٍ ومشايخُهم دوراً كبيراً في الترويجِ للاتجاهِ السلفيّ التكفيريّ في مختلفِ بلاد العالم، عبرَ المراكزِ الإسلاميةِ في كلّ البلدانِ الأوربيّة. كما لعبتْ حكوماتٌ أُخرى على دعمِ التيّار الصّوفيّ الإرجائي، وكانت هذه التيارات المذهبيةُ في غالب أحوالها خادماً لسياسات أسيادِها وصانعيها ومروّجيها...

التيارُ الوحيدُ الذي لا يحظى بأيّ دعمٍ سياسيّ أو دوليّ هو التيارُ الإسلاميّ الوسطيّ المعتدلُ الذي أنزله اللهُ عزَّ وجلَّ وأراده دِيناً لعباده هو الوسط)وَكَذَلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً).

والحقيقةُ أنّ التيّارَينِ السلفيَّ والصوفيَّ يمكِنهُما الاجتماعُ في وسطِ الخطّ لو أرادا، في النقطة الوسطِ بين طرفَيهما يمكنهما التلاقي لولا الاستخدام السياسيّ لكلّ منهما من قِبَل الحكومات والأجِندات السياسية المختلفة.

وقد ظهرَ الخلاف شاسعاً منذُ بداية الثورة بينَ التيّارِ السّلفيّ التكفيريّ وبين الفصائلِ الجهاديةِ المختلفة، فقدْ كان هذا التيارُ ينظرُ بريبةٍ وشكٍ إلى كلّ مجاهدٍ لا يعلنُ سلفيّتَه أو ينتمي إلى الوسط العلميّ في بلاد الشام، لأنه يُصنَّف مباشرةً على أنه يتبعُ للمدرسةِ الصوفيةِ الأشعريةِ الإرجائية بنظرهم طبعاً، ولا ينظر إلى جهاده بعينِ الاحترامِ لأنّه في المستنبطِنِ السّلفيّ يحملُ أفكاراً كُفريةً وثنيةً تبيحُ التوسلَ والاستغاثةَ وزيارةَ القبور، أو أنه يُنكرُ الصفات الإلهيةَ الخبريةَ أو يؤوّلُها، وما أشبهَ ذلك من خلافاتٍ أصبحت بسببِ التوظيفِ السياسيّ والبَرَاغماتيّ خلافاتٍ مرضِيةً تعكس أنفساً

متباغِضةً متحاسِدةً متنابذةً لأطماعٍ وأهدافٍ دنيويةٍ، وتوظفُ اجتهاداتٍ عَقَديةً ومذهبيةً ...

وأذكرُ أنّني وأحدَ زملائي الدّكاترةِ في كليةِ الشريعةِ بجامعة دمشقَ ذهبنا قبلَ تحرير الرّقة بعد إحدى المعارك إلى جبهةِ النُّصرةِ للمشاركة معهم في تقسيمِ الغنائم، وكانَ أميرُهم في مدينةِ سلوك سعوديٌّ لا يتجاوزُ الخامسةَ والعشرينَ من العُمر، وحينَ جلسْنا عرَّفه بعضُ الموجودين علينا ـ أنَا وزميلي على أننا دكاترةٌ في كليّة الشريعَة ـ فرحّب بنا ترحيباً بارداً، ثم بدأ يتحدّث ولم يسمحْ لنا بالحديثِ، وكلما أردنا أنْ نتكلمَ قاطعَنا؛ كان يخشى على عناصرِه أنْ يسمعوا أيَّ كلمةٍ منّا، ثمّ بعدَ أنِ انتهينا وخرجنا، نقلَ إلينا أحد الأصدقاءِ أنه يُسمّي كليةَ الشريعةِ (الكليّةَ الشّنِيعَةَ)، لأنها بنظره تُدَرّسُ القبور ويُسَوُّوها بالأرض، لأنها أوثانٌ تُعبد حتى يتحقق النصر، لأنّ الله عز وجل لا يمكنُ أن ينصرَنا وبيننا من يعبدُ الأوثانَ أو يتعاطى البِدَع!!

وأنا حقيقةً قد فهمتُ وأدركتُ أنّ هؤلاء القومَ لا يمكنُ أن يقبلونا نحن كإخوةٍ مسلمينَ بنفسِ المرتبةِ، ولنا نفسُ الحقوق ما دُمنا لا نتبنّى المنهجَ السلفيّ (التيميَّ الوهابيَّ)، مهما حاولْنا أن نقلّلَ من أهمّية الخلافات المذهبيّة، ومهما حاولنا أن نتظاهرَ بسخافتِها!

لكنَّ الشيءَ الذي لم أفهمْهُ جيّداً هو الخلافُ بينَ إخوةِ المنهجِ أنفسِهم ـ النُّصرةُ والأحرارُ والدّولةُ ـ وهم يُدَرّسون المنهاجَ نفسَه لعناصرِهم، ويقِفون نفسَ الموقفِ العَقَدِيّ من أهلِ الشامِ على وجه العموم. وقد تكلم معي أبو هاجر الحموي ـ أحدُ شرعيّي داعش ـ حين كانتِ المعركةُ دائرةً في منبج يقولُ لي: يا رجل كيفَ تحاربونَنا ونحن وإيّاكُمْ ـ يقصدُ أحرارَ الشامِ ـ ندرسُ نفسَ المناهجِ وهو منهاجُ القاعدة؟!

ما أريدُ أن أقولَه هو: أنَّ الخلافَ بينَ أجنحةِ المنهجِ الثلاثةِ هو خلافٌ سياسيٌّ بحْتٌ، خلافٌ على المراكزِ القياديّةِ، خلافٌ مناصبيّ بالدرجةِ الأولى، وللأسفِ فإنّ هذا الخلافَ يتدثرُ بلَبُوسٍ دينيّ عَقَديّ بينَ إخوةِ المنهجِ أنفسِهم؛ ولو أنّنا أردْنا الدخولَ في التفاصيلِ سنجدُ أنَّ الموقفَ واحدٌ لدى أجنحةِ المنهجِ الثلاثةِ من: الولاءِ والبَراءِ، والصّفاتِ، والتّوسّلِ، والاستغاثةِ، والحاكِميّةِ، والشريعةِ، والموقفِ منَ التّصوّفِ والأشاعرة، وما إلى ذلك... وينعكسُ الموقف عملياً على العلاقة مع الفصائلِ الجهاديّة التي لا تنتمي إلى أي من الأجنحة الثلاثة، ولكن بعض هذه الأجنحة استعجلَ في البراء منها "داعش"، والبعض الآخر ينتظر الوقتَ المناسبَ. فالخلافُ سياسيٌّ مرتبطٌ بعواملِ الشّوكَةِ والتمكُّنِ، وليسَ موقفاً استراتيجياً إصلاحياً ناتجاً عن مراجعةٍ فكريةٍ للمسلَّماتِ العَقَديّةِ والمذهبيّة...

© picture-alliance/abaca

الفكرَ الأشعريَّ!

الهروب من أنفسنا

عفراء جلبي

قبلَ يومَين رأيت صورةً لأمٍّ سوريةٍ شابّةٍ تطفو على الماءِ، بعد أنْ غرِق القارب وهي تُمسِكُ بطفلها ذي السنتين. هي قد نجتْ، ولكنْ هو بقي جسداً غارقاً بدون حِراكٍ بين يدَيها الحانيتَين.

بعدها رأيت مشاركةً على الفيس بوك لسيّدةٍ تعيشُ في دمشقَ، وتكتب بإحباطٍ بالغٍ أنّ فتاةً مهجّرةً في العشرينَ من عُمرها، كانتِ الثانيةَ التي رمتْ نفسَها من بنايةٍ عاليةٍ في حيّها. والبارحةَ رأيتُ خبرَ انتحار الممثلةِ السّورية الشابّة نجلاءَ الوزّة في غرفةٍ بجنوبِ إفريقيا – بطلةُ الفيلم الجديد "سُلَّم إلى دمشقَ" - وكثيراً ما أقرأ عباراتِ حزنٍ وكآبةٍ في كثيرٍ مما يكتبه السوريّون، وأحياناً أمنياتٍ بغفوةٍ لا يستيقظون منها، وكأنَّ البراميلَ والقصفَ والتهجيرَ ليست كافيةً، وكأنّ السجونَ والمُعتقلاتِ غيرُ كافية!

ولكنْ إنْ توقّفنا لِلَحظةٍ فهذه الرّغبةُ في الموتِ هي إفصاحٌ عن الحُلم بالخروج من قَبضة الرّعب، من وطنٍ صارت فيه البراميلُ اعتياديةً، والتعذيبُ روتيناً، فتحول الموت إلى ذراعَي ملاكٍ رحيم.

مُؤلمٌ منظرُ السوريّين على قواربِ الموت. مؤلمٌ أن ترى الشبابَ والشاباتِ يرمون بأنفسهم في خِضَمِّ أمواجٍ متلاطمةٍ وعواصفَ بحريةٍ وقواربَ مهترئةٍ هرباً من أرض وطنهم، الذي تحوّل إلى مِنصّة جلادٍ. مؤلمٌ أن تسمعَ عن تزايد حالات الانتحار. ولكن الأشدَّ ألماً منه هي الرسالة التي تأتي أنيناً صادحاً لتصرخ فينا من أعماق البحارِ أوِ الأرض التي تتشقّق تحت أجسادهمُ الغضَّة.. الرسالة يزدادُ صُراخُها عالياً!

نحن نهرُب من بعضنا. نحن نهرُب منَ العالَم الذي صنعناه بأنفسِنا لأنفسِنا.. لقد دخلنا إلى جحيمٍ بنينا أساساتِه بأيدينا، ووظفنا فيه خيالاتِ إبليسَ!

أوضحتْ أبحاث العالم النفسيّ إريك إريكسون أنَّ قاعدةَ الإنسان النفسيةَ الأولى تَتَكوّن في مراحلِ الوعي المبكرة، حيث سمّاها "الثِقةَ الأوَّليَّة"، والتي تضُخُّ مشاعرَ الثقة نحوَ الحياة، عندما يجد الطفلُ الرضيعُ أمَّه الحانيةَ تلبّي رغَباته وتحميه وتُقدّم له كلَّ ما يُبعِد عنه الأذى. وهذا يخلُق شعوراً بالأمان

عند الإنسان تجاه العالَم الذي نعيش فيه عبرَ سنينِ العمر. ولكنّ الكاتبَ النمساويَّ جان إيميري شرح تشظّي هذه الثقةِ بالعالَم، وذلك عندما يتعرّض الإنسانُ للأذيّة الجسديّة المقصودةِ والمُمَنْهجة. فهو وقَعَ تحت كوابيسِ النازيّين في غُرفِ التعذيب قُبَيلَ الحرب العالميّة الثانية، ليكتبَ لاحقاً عن تجرُبته المريرة، ويَذكرَ أنّ ما حدثَ كانَ شيئاً مختلفاً عن فقدان الكرامة. ما خسِره مع الضّربة الأولى التي هبطت عليه ـ قال إيميري ـ كان "الثقة في العالم"؛ كلَّها مترابطةٌ. فالرُّعب الذي صبَّه النظام على شعبٍ أنهَكَتْه عقودٌ من الاستبداد، والرُّعب الذي أتى كعوارضَ جانبيَّةٍ من قِبَل أطرافٍ أُخرى يعيد صَقل الوعيِ السوريّ. صار الموتُ البوابةَ الأسهلَ لوضعِ حدٍّ لجحيم الإنسان الذي لا يعرف حداً.

هذه لحظاتٌ تستدعي أن نفكّرَ كثيراً بصِدق، ما يجعلُ السوريَّ يواجه الموت، أو حتى يبحث عنه.. هو رُعبُه من السوريّ الآخَر. علينا أن نشخِّصَ الأفكارَ والسلوكيّاتِ التي المستحيل، ومواجهة الرعب الذي خلقناه. لن تقومَ لنا قائمةٌ، وستُعادينا الحياة إن لم نجدِ الشجاعة في خَرْقِ هذا الرعب وإيجاد قيمٍ جديدةٍ نُعيد فيها الثقةَ بالحياة والثقةَ ببعضِنا بعضاً. وهذا يعني أن نحترم الموتَ كزائرٍ حتميّ لنا جميعاً، بَدَلَ أن نحوّله إلى أداةٍ لإكاع بعضنا؛ فلا يركع لنا شيء، ونركع كلُّنا داخلَ أتُونِ هذا الجحيم. لا يهم أن نتفقَ على أفكارنا أو معتقداتنا أو توجهاتنا السياسية، لكن صار من الضّرورَةِ المُلِحَّة أن نتّفقَ على شيءٍ واحدٍ،

والتي تصوغ كل شيءٍ نعرفه عن الحياة. ولهذا شرحَ المفكّرُ الفرنسيُّ جورج باتاي، عندما أراد أن يفهم التعذيبَ والقتلَ طبيعة الرُّعب، قائلاً: "من الواضح أن الرُّعب ليس هو الحقيقة. ولكنْ هو الإمكانيةُ اللّامحدودةُ التي لا يحدُّها شيءٌ إلا الموت". فالألمُ والرُّعب لا نهائيَّان، إن لم يوقِفْهُما الموتُ!

في النهاية وبعد نجاحٍ أدبيٍّ ومعنويٍّ انتحر إيميري في آخرِ حياته واضعاً حدّاً لعذابٍ لم يجِدْ له حداً في أعماق وعْيِه. ولذا فإن ظاهرة الرُّعبِ والسجونِ والقنابلِ والانتحار جعلتِ الموتَ يبدو السلامَ الأبديَّ أمامَ رُعب الحياة، لأن ما يهرب منه السوريُّ ليسَ الحياة وإنما ما عبَّأنا نحن به الحياة: الأحقادَ، والرّيبةَ، والرُّعب من بعضنا، والرغبةَ في الأذِيَّة التي تتأرجح بين أذيَّة الكلام إلى التعذيبِ حتى الموت. وكلها تدفع الجميع نحوَ رغبة إفناءِ الآخَر والتمنّي باختفائه، فتصيرُ الحياةُ لحظاتٍ متواصلةً من الجحيم.

لكنَّ فقدانَ الخوفِ من الموت له وجهٌ آخَر، فهو البوابةُ النهائيةُ التي تضعُ حداً لكلِّ شيءٍ. ونحن إذ وصلنا هنا فهذا يعني أننا قادِرون على خَرْقِ أن نُعيدَ "الثقةَ" فيما بينَنا، وأن نُحيّدَ الأذية كأداةِ تحكيمٍ.

* صحفية وكاتبة ومفكرة سورية تقيم في مونتريال بكندا. عضو في إعلان دمشق، ولاحقاً في المجلس الوطني السوري.

مِن الاغتراب القسريّ إلى اللجوء:

السوريّون في مشتهديَّة عالمٍ سيلعنه التاريخ

مَي شقير *

حديثُ أهل سورية، وبلادِ الشام عموماً، عن الاغتراب ليسَ حديثاً جديداً، بل هو حديثٌ يمتدُّ إلى نهاية القرن التاسعِ عشر وبداية القرن العشرين، حيث اضطَر الاستبدادُ العثمانيُّ وحَمْلة "السفَر برلك" آلافَ الشبابِ للهجرة والهروب من واقعٍ مرير، وغالباً ما كانت وجهتهم دول أمريكا الجنوبية.

وحديث العَربِ عن اللُّجوء، أيضاً ليسَ حديث العهد، بل خبِروه من خلالِ تهجير الفلسطينيّين، وإقامةِ دولة الكيان الإسرائيليّ على أنقاضهم وعلى عذاباتِهم وتشتِّتهم في بقاعِ الأرض أيضاً.

وقد خبِروه أيضاً من خلالِ اللبنانيّين والعراقيّين والصوماليّين وسواهم، الذين فرُّوا من بلادهم بعدما ضربَتْها زلازِلُ الاستبداد والغزَوات الخارجية، وكذلكَ الحروبُ الأهلية.

أمَّا الفاجعةُ الكبرى التي تعيشها المنطقةُ في عصر العَولمة، بأشكالها كافةً، هي فاجعةُ السوريين، ولجوؤُهم وتشتّتُهم في الداخل والخارج وتركهم بيوتَهم وأرزاقَهم بحثاً عن أمانٍ مفقودٍ هنا أو هناك في بلاد الجوار، ورميهم أنفسَهم في فمِ البحر بحثاً عن دولٍ في أوروبا تحميهم وتأويهم.

حكايةُ السوريين مع اللجوءِ قد تكون حديثةً، حيث بدأت من أربع سنواتٍ تقريباً، وبالتحديد معَ اشتعال شرارةِ الثورة ضدَّ النظام المستبدّ، وما لاقُوه مِن إفراطٍ في قمعِهم بالقوَّةِ والوحشيَّة. وهي حكاية، بل حكاياتٌ لا تَخفى على أحدٍ في العالم.

أما حديثُ السوريّين عن الاغتراب، فله أيضاً قصصٌ مملوءةٌ بالحنين والشوق والأشجان...

فالاغترابُ هو ببساطةٍ عمليةُ استئصالٍ للروح من الجسد، هو حديث ذلك المزيجِ اللّامتناهي من العواطف المتضاربة اللّامُتناهية في تعقيداتها، هو عمليةُ اقتلاعٍ من جذورِ مرابعِ الطفولة وأحلامِ الشباب، في رحلةٍ غيرِ مأمونةِ النهاية، ولا مضمونةِ النتائج. وكم من السوريينَ الذين اغتربوا بحثاً عن واقعٍ اقتصاديٍّ أفضلَ، غالباً، في عزِّ شبابهم، ولم يعودوا إلاّ في توابيتَ باحثينَ عن بقعةٍ في أرضِ الوطن لا يتجاوز طولُها مِترَين بعرضِ مترٍ واحدٍ، يُوارونَ فيها أجسادَهم المنهكةَ، أملاً في راحةٍ أبدية.

وكثيراً ما سأل السوريون أنفسَهم، وسألهم كثيرون: ما الذي يدفعُكم للاغترابِ وبلادُكم مِن أغنى بلادِ الدنيا؟ ليأتي الجوابُ على شكل مرارةٍ تُبحر في الحلق، وشوكةٍ تَعلقُ بالحنجرة، وخَنجرٍ يُمعِن بالروح تقطيعاً...

أكادُ أجزِم أن سوريّاً واحداً لم يكُن مضطّراً للاغتراب عن بلدِه لولا الاستبدادُ واستشراءُ الفساد الذي ركّز ثمانينَ في المئة من ثروة سوريةَ بأيدي عشرينَ في المئة من السُّوريين، وأعطى

فتات عشرين بالمئة منها لثمانين بالمئةِ من السكان. وهنا بدأت فاجعةُ تهجيرهم عنوةً عنهم، وعن عواطفهمُ المشدودةِ إلى بلدٍ طالما فاخروا بأنه مهدُ حضاراتِ الإنسانية!

حتى الطلابُ الذين اغتربوا طلباً للتحصيل العلميّ، وأملاً بالعودة لبلدٍ يرعى طموحاتِهم وكفاءاتِهم، وجدوا أنفسهم يشدُّون الرحيلَ مرةً أخرى نحو المهاجِر، بعد أن تنكرَ المستبِدُّون لهذه الكفاءات وهمَّشوها وألقَوا بها في دواماتٍ لا تنتهي؛ نفسيةٍ واجتماعيةٍ واقتصاديةٍ، وأحياناً سياسيّة.

وبعد: ما الذي يحمله اليومَ نحوُ ملايين السوريين الذين تشتّتوا في بقاع الأرض، غالبيَّتُهم لاجئون، سِوى حقيبةِ سفرٍ طافحةٍ بالشقاء وبقايا عبَقٍ من وطن؟

وأمامَ هذه الصورة المأساويَّة، يمكننا التقاطُ جزئيَّةٍ واحدةٍ هي معاناة المرأة في بلاد الاغتراب واللجوء. فليس بخافٍ على أحدٍ أنَّ المرأةَ نالت الحِصّة الأكبرَ من المعاناة والألم في بلاد الاغتراب واللجوء. فهي تعيش تجربةً في غاية القسوة لها أبعادٌ على شكل همومٍ ومشاكلَ وتحدياتٍ، تبدأ بالاختلافات الحادَّة بينَ محيطها ومجتمعها وما يحمله من عاداتٍ وتقاليدَ وموروثاتٍ اجتماعيةٍ ودينيةٍ، وبينَ عالَمٍ جديدٍ تسعى بمحاولاتٍ حثيثةٍ للتأقلم فيه؛ وغالباً ما يسبّب لها اضطراباتٍ نفسية واجتماعية تقودها للعزلةِ أو الكآبة؛ خاصَّةً في مجتمعاتٍ تجهَل لغتَها وأصولَ التعامل معها، لتقعَ فريسةَ صراعٍ لا ينتهي بينَ تحقيق الذات وتحدِّيات الاغتراب.

وأعتقدُ أن التحدي الأكبرَ الذي يواجه المرأة السورية في بلاد الاغتراب هو عمليةُ الحصول على أدواتٍ ومسبّبات العيش الكريم، حيث لا تتوافر فرص العمل بما يؤمِّن لها ذلك.. وتفاقمَ الأمرُ أكثرَ اليوم مع واقع اللجوء الذي تعيشه، ما يضطرها في معظم الأحيان لهَدرِ طاقتها في العمل بورشاتٍ بأجورٍ زهيدةٍ، بالكادِ تؤمّن لها ولعائِلِها وأبنائها كفافَ الطعام والشراب وحسب.

ومَن زار بلاد لجوءٍ وتمركزِ السوريين، سيصدمه منظرُ نساءٍ يتسوَّلنَ مع أبنائهنَّ في الشوارع، وقد لا يتّسعُ المجالُ هنا للحديث عن عمليات الاستغلال الجسديّ الذي تتعرَّض له.

قد تطول معاناةُ السوريين، أو قد تقصُر، فهذا الأمرُ عِلمُه فقط في تلكَ الغرفِ المغلقة والمُظلِمة أحياناً، التي تجرَّد مَنْ فيها من ضمائرهم أمامَ المشهد السوريّ المُفجِع، ولكن لكلّ أجلٍ نهاية؛ نهاية مفردتُها الوحيدةُ هي: لعنةٌ سوداءُ في تاريخهم ستلاحِقهم إلى ما لانهاية...

* كاتبة سورية مقيمة في دولة الإمارات العربية المتحدة

التّعاملُ مع الصّدمة: دعم الشّباب اللاجئِين

تأليف: سارة أرانغو *
مراجعة: د. دفني كورامان

حتى شهر آذار عام ٢٠١٤ شُرّدَ زهاءَ تسعة ملايين سوريّ تقريباً، بينهم ٤,٢ مليون طفلٍ (أي ٤٧٪). إنَّ تقديمَ الدَّعم للأطفال الّذين عانوا من تجاربَ صادمةٍ شديدةٍ مثل الحرب والضَّياع والتّشرد يُعدُّ أمراً أساسياً لمساعدتهم من أجل التغلّب على هذه التجارب الصّادمة العميقة والعيش حياةً كاملة. يلعبُ المعلّمون والآباءُ دوراً حاسماً في حياة هؤلاء الأطفال اليوميّة، باعتبارهم يقدّمون لهمُ الثباتَ والأمان والدعمَ والدافع...

يعتمدُ تأثيرُ الحرب والتهجير على الأطفال - بشكلٍ كبيرٍ - على عُمر الطفل، وعلى مستوى الصّدمة وطول الفترة التي تعرض الطفل خلالَها على الحدثِ الصّادم.. عادةً يَظهرُ على الأطفال، بعمر قبل المدرسة، مشاكلُ سلوكيةٌ علنيّة، مثل: العدائيّة والنشاط المفرط ونوباتُ الغضب وتبليلُ السّرير والتبعيّة المتزايدة (الاعتماد الزائد على الأهل).. هذه الأعراضُ يمكن أن تحدثَ أيضاً للأطفال الأكبرِ سِناً والمراهقين، بالإضافة إلى الإحباط والأعراض الجسديّة النفسيّة (مرضٌ جسديٌّ، أو أعراضٌ سببُها اضطرابٌ عقليّ)، فقدان التركيز، والانسحاب، وأذيّةُ النفس بين الآخرين. ويمكن أيضاً أن تُثار الصَّدمة إذا استمرَّ الأطفال بالتعرض لأحداثٍ مؤذيةٍ أكثرَ، مثل: فقدان العلاقات الاجتماعية، ومعاناة عنفٍ مع الأسرة، والخوف من الهجر ناتجٌ عن فقدانِ العاطفة من الأبوين.

الاعتناءُ بالأطفال الّذين عانُوا الصَّدمة

الاعتناءُ بالأطفال الّذين عانُوا أحداثاً صادمةً يمكن أن يكونَ مرهِقاً أحياناً، لكنَّ مساعدةَ الأطفال خلالَ رحلة تعافيهم أمرٌ أساسيٌّ لصحتِهمُ العقلية وسعادتِهم وسلامتهم. من أكثرِ الأشياء أهميّةً هو دعمُ الأطفال وإحساسُهم بالدَّعم والمتابعة والثقة، وخَلقُ جوٍّ ثابتٍ يمكنُ أن يكونَ جزءاً هامّاً في تعافيهم. إنَّ إبقاءَ الجوّ الثابت هو محاولةٌ لتجنّب مُباغتة الطفل، وهذا الطفلُ الذي عانى من صدمةٍ غالباً ما تتطوَّرُ لديه "نوابض" الصّدمة. نابضُ الصّدمة هو تجربة تُذكِّر الطفل بالحدثِ الصادم، حتى لو كان "النابض" أو التجربة نفسها يمكن أن تكونَ صادمة. النابض قد يكون مَدى لأشياءَ، مثل: سماع ضجّةٍ عاليةٍ، أو رؤية رَدّة فعل أحد الوالدَين، أو المعلّم، بطريقةٍ لم يتوقعْها (الصراخ مثلاً). النوابض مختلفةٌ لدى كلّ طفلٍ، ولذلك فإنَّ فهمَ ما هو الشيءُ المزعِجُ بالضَّبطِ لكلّ طفلٍ، قد يساعد على تقليلِ النوابض، وتقليلِ الضَّغط الذي يأتي من هذه التجربة.

يمكن أنْ تكونَ العقوبةُ صعبة على فهم الأطفال والتّأقلم معها، لأنه يمكن رؤيتُها كفعلٍ رافضٍ، وتضخّم شعور العارِ والتّفاهة التي حفزتها الصَّدمة مُسبقاً. وبما أنَّ هذه المشاعر يمكن أن تكونَ موجودةً مُسبقاً كنتيجةٍ لتجاربِ الحياة الصعبة التي عانوها، فيمكن أن تكون العقوبة قاسيةً جداً على فهمِ الطفل كي يتعاملَ معها، بغضّ النظر عن كيفيّة تأقلم الطفل مع العقوبة قبلَ الحدث الصّادم. وبسبب هذا فإنَّ الاعتمادَ على التعزيز والتواصل يُعدُّ الطريقَ الأمثلَ للشخص المسؤول لإنتاج النتيجة المرغوبة من الطفلِ بدون إحداثِ أذيّةٍ أكبر.

يختلف التعزيزُ الإيجابيُّ عن العقوبة التقليديّة، فبدلاً من الصُّراخ على الطفل، أو أخْذِ شيءٍ منه عندَ القيام بعملٍ خاطئ، فإنك تكافِئُه على الأشياءِ الجيّدة التي يفعلها. التعزيز الإيجابيُّ يمكن أن يعملَ ببساطةٍ كمنح الطفل، أو إعطائه شيئاً يسعده (مثل تركِه يلعب لوقت أطول). بالإضافة إلى استخدام التّعزيز الإيجابيّ

يجبُ إجراءُ محادثةٍ مع الأطفال: لماذا فعل أشياءَ غيرَ آمنةٍ أو غير مساعدة؟ وهذا يمكن أن يقلّلَ سلوكَهم السلبيَّ. فالأطفالُ، وبغضِّ النظر عن ما إذا عانوا من صدمةٍ أو لا، غالباً ما يكون لديهم قليلاً، أو ليس لديهم أيُّ فهمٍ فيما إذا كانوا قد فعلوا شيئاً خطأً، رغمَ أنه يبدو للبالغ منطقيّاً. إذا فهموا أنَّ هذا الفعلَ خاطئ، ربما يُتابعوا فعلَه، لأنهم لا يعرفون كيف يتأقلمون مع الصَّدمة، أو المشاكل التي يواجهونها، أو كيف يتابعون التعبيرَ عن مشاعرهم.

شيءٌ واحدٌ يجب تذكُّرُه دائماً لكلٍّ من الآباء والمعلمين، وهو جعلُ الأطفال يتكلمون عن تجاربِهمُ الصّادمة، بما يفيد بعض الأطفال، ولكن يمكن أن يكونَ له ضررٌ أكبرُ على أطفالٍ آخرين، لأنهم غيرُ مستعدّين دائماً للحديث عن تجاربهم. ولذلك فإنَّ إخبار الأطفال بوجودِ شخصٍ ما يمكِنهم أن يحدثوه عن تجاربهم، إذا احتاجوا، هو أمرٌ ضروريٌّ، وعلى كلِّ حالٍ فإنَّ إجبارَهم على التكلم يمكن أن يُحبطَهم.

الدَّعمُ الأبويُّ

يُعدُّ الدَّعمُ الأبويُّ والتواصل مِن أهمِّ عوامل مساعدة الأطفال الذين عانوا من صدمةٍ مؤثّرة. التواصلُ بين أفراد الأسرة يمكن أن يخلقَ ثقةً ويشجّعَ المرونة لدى الأطفال من خلالِ خلقِ إحساسٍ واضحٍ بماضيهم ووضعِهمُ الحاليّ. وهذا يمكّنه أيضاً أن يزيدَ الإحساسَ بحلِّ المشاكل المُزدَوَجة والدعم الكامل.

بعيداً عن الدّعم الأبويّ، فإن الإبقاءَ على النشاطات الدّوريّة في حياة الأطفال مُهمٌّ لجعلِهم يشعرون بأن شيئاً ما سيبقى ثابتاً في حياتهم. وذلك بعدَ خوضِ تجربةِ فقدان عِدّة أصدقاء، أو بيتِهم، أو إحساسهم بالأمان، وجعلهم يشعرون بأنّ اليومَ التالي سيبدو تماماً مثلَ هذا اليوم، بحيث سيكون له تأثيرٌ قويّ. هذه الأعمالُ الدوريّة يمكنُ أن تتضمَّن قراءةَ كتابٍ قبل النوم، أو تناولَ العشاء مع الأسرة كلَّ ليلةٍ، أو القيامَ بنشاطٍ معيّنٍ بنفس الوقت يوميّاً.

إنّ الصدمةَ والضغطَ الذين يشعر بهما الأبوين لهما تأثيرٌ أيضاً على الأطفال. يجب عليهما أن يجتهدا على صدمتهما الخاصَّة، ويفهَما كيفيّةَ لعبِ صدمتهما دوراً في علاقتهما مع الأطفال. غالباً ما يُظهر الآباءُ إحباطَهم بوجود أطفالهم عن طريق الصُّراخ أو غياب العاطفة.

إنّ الأطفالَ يشعرون ويُدرِكون بضغطِ والدَيهما، فإذا شاهدوا بأن عاطفتَهما غائبةٌ مثلاً، يمكن أن تكونَ ردةُ فعلِهما مفيدةً لِلَفتِ النظر. العنايةُ الشخصية للآباء مُهمّة، ولهذا السبب يجب أن يكونَ لديكَ نظامُ دعمِكَ الخاصّ، من أجل إيجادِ طرقكَ للتخلص من الضغط، أو إيجادِ أناسٍ آخرين للتحدث معهم، مما يترك انطباعاً إيجابياً على الآباء والأبناء على حدٍّ سواء.

دعمُ المعلمين

يلعب المعلمون أيضاً دوراً مُهمّاً في حياة الطلاب. فهم مركزٌ لخلقِ مهاراتِ حلِّ مشاكلَ بناءةٍ وإيجابيةٍ بين الطلاب، وجعلِهم يتبنّون احترام الذات والدعم ضمن الصَّفّ.

المدارسُ هي أماكنُ يُمضي فيها الأطفالُ معظمَ نهارهم، حيث يختلطون مع أقرانهم بالعمر. ومن المهمِّ إيجادُ أماكنَ آمنةٍ في المدارس، حيث يعني الأمن خلق محيطٍ يَشعرُ الأطفال فيه بأنَّهم مقبُولون ومُنفتِحون. إنَّ الإبقاءَ على أعمالٍ اعتياديةٍ في الصَّفِّ يمكن أيضاً أن يساعد الأطفال. وهذا يمكن فِعلُه من خلال إخبار التلاميذ عن مضمون الدروس، أو إعلام الطلاب ببساطة عن تغييرٍ في نشاطٍ مُعيَّن، في وقتٍ معيَّن، يسمح للأطفال بأن يقوموا باختيار أيِّ فعلٍ سيقومون به، أو سيفعلونه مرةً أو مرتين في اليوم، يمكن أن يساعدَهم. هذا الفعل يمكن أن يساعدَ الأطفالَ الذين عانوا من صدمة، لأنهم قد يشعرون بأنهم يفتقدون إلى قدرة التحكُّم بحياتهم.

من المهمِّ ذكرُه بأنَّ عدداً من المعلمين يعانون من عِبءٍ نفسيٍّ وإعياء الرأفة، بينما يلعب المعلمون دوراً مزدَوَجاً في حياة الطلاب الذين عانوا من صدمةٍ مؤثّرة. في بعضِ الأحيان يكونون هم المعلمون والداعمون على حدٍّ سواء، ولذلك من المساعد للمعلمين أن يحصلوا على نظامِ دعمٍ، وأن يقوموا بخطواتٍ لكي يقللوا من ضغوطهم وإحباطهم.

علاجٌ فنيٌّ مبدع

إنَّ كلاً من الآباءِ والمعلمينَ يمكن أن يستخدموا الأفكارَ التالية: العلاج الفنيّ المبدع يسمح للأطفال بأن يُعبّروا عن أنفسهم من خلال وسائلَ غيرِ كلامية. التحدُّث عن مشاعرهم التي يعانون منها غالباً ما يكون صعباً، ليسَ فقط بسبب عدم القدرة على التعبير عن هذه المشاعر، ولكن هناك الألمُ العاطفيُّ الذي يمكن أن يسبّبَه. العلاجُ الفنيُّ هو طريقةٌ لمشاركة القصص واستخلاص المعاني منها.

رواية القصص هي طريقةٌ مثاليّة للأطفال كي يُعبّروا عن أنفسهم. وهذا يمكن أن يحصلَ من خلال الرسمِ والكتابة والرقص والتمثيل، ما يُزوّد الأطفال بصوت، ويشجعهم بأنهم يستخدمون أفكارهم الخاصة ومساعدة لخلقِ فنّ. هذه الطرقُ تُزوّدهم أيضاً بطريقة ليعبروا عن أنفسهم بطرقٍ يَشعرون فيها بارتياحٍ أكثر. بالإضافة إلى ذلكَ إجراءُ نشاطاتٍ تُزوّد الأطفال بفرصة ليعبّروا عن آمالهم بالمستقبل، يمكن أن تعطيهم إحساساً بالأمل عندما يشعرون بعدم وجوده!

تنفسٌ مُركَّز

مؤخراً كان هناك اهتمامٌ بدراسةِ كيف تساعد تمارينُ التنفسِ الطلابَ والأطفال. تمارين التنفس يمكن أن تساعدَ في تقليلِ الضغط ووضع الجسم في حالة هدوء، وتساعد في زيادة التركيز، وتساعد الناسَ "في اللحظة"، وفي المقابل تركز على الماضي والمستقبل، وأمورٍ مرهِقة حولَهم. تمارين التنفس يمكن أن تتنوَّع بين أداءِ تمريناتِ التمدّد والتنفس ببطءٍ وثباتٍ للحصول على تنفسٍ مُوجَّهٍ، حيث يغلق الأطفال عيونَهم، والمعلمُ أو أحدُ الوالدين يختلقُ قصةً تصويريّةً تحدُث في مكانٍ آمنٍ وهادئٍ (مثل الشاطئ أو الصحراء أو الغابة...). خلالَ هذه التمارين يجبُ تذكيرُ الطفل بأن ينتبه لتنفُّسِه.

أثناء ذلك يجبُ تعليمُ الأطفال الانتباهَ إلى تنفّسهم وحركاتِهم، ما يساعدهم أن يكتسبوا مهاراتٍ للتأقلم عندما يُصابوا بالإحباطِ أو القلق أو الغضب. عندما تسبّبُ لهم "نوابضُهم" ردّةَ فعلٍ عكسيٍّ سلبيّ، ويتعلموا فنَّ التركيز لأجلِ المدرسةِ أيضاً.

الدّعمُ الأبويُّ ودعمُ المعلم والعلاجُ الفنيُّ المبدع وتمارينُ التنفس هي بعضُ الطرق لدعم الأطفال الذين مَرُّوا بصدمة، أظهرَ فيها الأطفالُ بأنهم مَرِنُون بشكلٍ كبير. ومن خلال الدعم الصحيح من الأُسَر والمعلمين، فإنَّ الأطفال المصابين بالصدمة سيحصلون على فرصةِ التغلب على هذه الأحداث المؤلمة.

سارة أرانغو باحثة في العلوم النفسية من كولومبيا، تعمل حالياً على إكمال دراستها العليا في الاستشارة النفسية في جامعة كولومبيا. كذلك تُدير بحثاً عن الأقليّات، وتعمل مُعالجةً نفسيّةً في مركز الصّحّة النفسيّ الاجتماعيّ. تطوعت للعمل في منظماتٍ غيرِ حكوميةٍ مكرسة للأطفال قبل أن تتابع دراستها العليا.

رجالُ الدّفاع المدنيِّ جنودُ الثورةِ المجهولون

د. علي حافظ

ليسَ بعيداً عن خطوط الجبَهات الأماميّة، في حلبَ وريفها، هناك رجالٌ لا يقِلّون شجاعةً ونخوةً وحماسة عن أبطال تلكَ الجبهات.. إنهم يُخاطرون بحياتهم من أجلِ إنقاذ البشر العالقين بينَ ركام الأبنية ولهيب الحرائق.. إنهم يقومون بأعمالٍ خارقةٍ رغمَ إمكاناتِهِمُ المتواضعة، وأدواتهمُ البسيطة، وظروفهمُ الاستثنائية... هؤلاءِ هم رجالُ الدفاع المدنيّ.. جنودُ الثورة المجهولون!

تأسّست منظومةُ الدفاع المدنيّ في المناطق المحرَّرة من حلبَ وريفِها بسبب الحاجة المُلِّحة إليها، بعدما ازدادت وتيرةُ الهجمات البربريَّة لقوات الأسدِ بالبراميل والصواريخ والقذائف على تلكَ المناطق، حيثُ سقط على إثرِها عددٌ كبيرٌ من الضَّحايا وتهدمت أحياءٌ بأكملِها.. تجمَّعَ في البداية عددٌ من الشباب رافضينَ الوقوفَ مكتوفي الأيدي، وقرّروا أن يفعلوا شيئاً ما يساعدُ الناسَ في مِحَنِهم وكوارثِهمُ التي لحقت بهم جرَّاءَ جرائم الأسد المتزايدة يوماً بعد يوم...

في منتصَف شباط ٢٠١٣ ظهرت ثلاثُ تجمعاتٍ للدفاعِ المدنيّ في كلٍّ من البابِ وعنَدانَ والأتارب، وفي نفس الوقت أحدث مجلسُ محافظة حلبَ - عندما كان رئيسُه المهندس يحيى نعناع - مَكتباً للدفاع المدنيّ، ترأّس ولايتَه الأولى عبدُ العزيز المغربي (أبو سلمى) في 15 آذار 2013. بعد شهرٍ تقريباً تأسّس أولُ مركزٍ بحلبَ في حي مساكن هنانو، وأطلِقَ الدفاع المدنيّ على المستوى الإداريّ. وفي الأول من حزيران 2013 تأسّس مركز الأنصاري.. كذلك تمَّ العملُ على إنشاء مراكزَ في مُدنٍ وقرى تل رفعت والسفيرة ودارة عزة...

اعتمَدَ جهازُ الدفاع المدني - في البداية - على المنشقّين عن الإطفائية، لاسيَّما إطفائيّي الصاخورِ والحمدانية، ومن ثم بدأ بضمِّ المتطوعين إليه؛ في حين لم يكنْ هناكَ أيَّةُ آليةٍ أو لباسٍ خاصٍّ؛ ولا أيّ شيءٍ يدلُّ على وجودِ مثلِ هذا الجهاز.

نقطةُ التَّحول في مصير الدفاع المدنيّ كانتْ بعدَ ضربةِ بستانِ القصر في السادس عشر آب عام ٢٠١٣، عندما تسبَّبَ صاروخٌ فَراغيٌّ أطلقه طيَّارٌ أسديٌّ حاقدٌ بتدميرِ ثلاثةِ أبنيةٍ فوقَ رؤوسِ أصحابها المدنيّين؛ واستمرت أعمالُ الإنقاذِ ثمانيةَ أيامٍ متَتَاليةٍ، راح ضحيةَ هذه الجريمة النكراء اثنان وستون شخصاً.

بعد هذه الضربةِ الظالمةِ تمَّ إدراكُ أنَّه لابدَّ من إنشاء منظومةٍ خاصَّةٍ بالدفاع المدنيّ ودعمها بالمَعدَّات اللّازمة.. بدايةً دُعمت بالسِّلال الغذائيةِ وبعض الآلات القديمة والأشياء الرمزيَّةِ من قِبَل مجلس محافظة حلبَ وبعضِ المجالس المحليَّة والألْوية العسكريَّة، ثم حصلت على معداتٍ من قِبَل

مؤسَّستَي "آرك وكومنكس"، وحقائبَ ومعاولَ من مؤسَّسة "آرك"، وسياراتٍ مستعملةٍ من ""Giz.. كان الدعم محدوداً للغاية، حيث وصل في الأول من شباط 2014 خمس إطفائيات فورد، وثلاث سيارات قلاب، وأربعمائة بدلةٍ كاملةٍ موحدةٍ، للدفاع المدني من قِبَل مؤسسة "كومنكس". أما أولُ دوراتِ التدريبِ فقد وفرتْها مؤسَّسة آرك.

بمُوازاةِ ذلك بدأ التدريبُ على نطاقٍ ضيّقٍ، حيثُ قدَّمت "آرك" المالَ وقامت""akut بتدريبِ شبابِ الدفاعِ المدنيّ، وتوزعتِ الدوراتُ على: دورةٍ خفيفةٍ، دورةٍ متوسطةٍ، دورةِ آمرِ زمرةٍ، دورةِ مدربٍ.

تمَّ إجراءُ عشر دوراتٍ خارجيةٍ تقريباً حتى الآن، إستفاد منها زهاءَ مئةٍ وثمانين عنصراً من أصل ثلاثمائةٍ وخمسةٍ وسبعينَ شخصاً.

أولُ دورةٍ انطلقت في شهر أيارَ عام ٢٠١٣. وكان هناك ـ أيضاً ـ بعضُ الدوراتِ الداخلية، التي كانتْ فائدتها أكبرَ وأشملَ من مَثيلاتها الخارجية.

الآن يبلغُ عددُ جهاز الدفاع المدنيّ الكليُّ بحلبَ وريفها حوالي أربعمائةٍ وخمسةٍ وعشرين عنصراً متواجدين في تسعةَ عشرَ مركزاً. تتراوح نسبةُ أعمارهم بينَ الـ ٢٠ ـ ٣٠ عاماً، بينهم حوالَي أربعين منشقّاً عن إطفائيات النظام.. هناك مراكزُ رئيسيةٌ قِوامها ستةٌ وثلاثون عنصراً، وتضمُّ اختصاصات: إطفاء، إنقاذ، إسعاف. ومراكزُ فرعية قِوامها تسعة عشرَ عنصراً، تضمُّ اختصاصات: إطفاء وإنقاذ، أو اختصاص واحد منهما.

حصل عناصرُ الدفاع المدنيّ، في الأول من نيسان ٢٠١٤، على أوَّلِ مكافَأةٍ من الحكومةِ المؤقتة، في حين عمل مسبَقاً أكثرَ من اثنَي عشر شهراً بشكلٍ تطوعيّ ودونَ أيِّ مقابل.

في العشرين من أيار ٢٠١٤ تم إنشاءُ مديريةِ الدفاع المدنيّ التابعةِ لمجلس محافظةِ حلبَ التي ضمَّت حينَها اثنَي عشر مركزاً، وأُجريَت مسابقةٌ لاختيار مديرِ الدفاعِ المدني، حيث اختِيرَ خلالَها عمار السلمو مديراً. في الأول من نيسان ٢٠١٤ بدأت تُعطى الرَّواتبُ بانتظامٍ لعناصرِ المراكز الأساسية، مع بعض التأخير نوعاً ما، في حين لم يأخذ عناصر المراكز الفرعية، التي تشكَّلت حديثاً، الرواتبُ التي وُزِّعت بانتظام حتى الآن ـ مارع، إعزاز، باب السلامة، عنجارة، قبتان الجبل، الحاضر، أورم ـ مع وعودٍ بأنه سيكونُ هناكَ اعتمادٌ ماليٌّ منتظمٌ للجميع في القريب العاجل.

طلبتِ الحكومةُ المؤقّتة من مديريةِ الدفاع المدنيّ خطةً استراتيجية شاملة عن حالتها واحتياجاتها وإمكاناتها: كم مركزاً حتى تُغطَّى حلبُ بالكامل، كم عددُ العناصر والآليّات المطلوبة لتنشيط العمل الميدانيّ وتوسيع رقعته الجغرافية، حيث قُدّمت وعودٌ ـ أيضاً ـ بأن يكونَ هناك رواتب دورية ثابتة لستمائة عنصرٍ تقريباً.

قامت مؤسّسةُ "آرك" برعاية ورشة عملٍ في مدينة أضَنة التركية (تشرين الأول ٢٠١٤)، ضمتْ جميعَ جهاتِ الدفاع المدنيّ في مناطقِ سوريةَ المحررة من أجل تبادل الخبرات، ومناقشة وضعها العامّ، وتوحيد الجهود للارتقاءِ بعملها.. كذلك حصلَ نقاشٌ طويلٌ داخلَ المديريةِ، على مستوى رؤساءِ المراكز، وصل إلى نتيجةٍ مفادُها أنَّ المديريةَ ستبقى تابعةً للحكومة المؤقتة، بغضِّ النظرِ عما يُروَّجُ عن فسادها؛ فهي في النهاية من منتَجات الثورة ـ كما ذكر مديرُ مركزِ باب النيرب إسماعيل عبد الله!

أصدرَ أحمد طعمة - رئيسُ الحكومة المؤقتة - قراراً بدفع رواتبَ وتعويضاتٍ لأسَرِ شهداءِ الدفاع المدنيّ من تاريخ الأول من آذار عام ٢٠١٤، أما الذين استُشهِدوا سابقاً، فلا يوجد رواتب لأسرهم ولا تعويضات حتى الآن؛ مع العلم أنَّ هناك إحدى وعشرين شهيداً في حلب وريفها، وحالة بترِ ساقٍ واحدةٍ، وعددٌ من الإصابات الخفيفة والمتوسّطة لم تؤثر على عمل هؤلاءِ المصابين.

قُدّمت عروضٌ مغريةٌ كثيرةٌ - داخلية وخارجية - للدفاع المدني من أجل إفراغه من محتواه الثوري وجعله مؤسسةً حياديّة؛ وجرتْ محاولاتٌ من أجل الاستفادة من عمله الجبَّارِ لصالح أجندةٍ شخصيّةٍ أو حزبيّةٍ أو سياسية، لكنَّ كلَّ هذه المحاولات باءت بالفشل.

إن مشاركةَ عناصر الدفاع المدني بلباسهمُ الكاملِ في مظاهرةِ جسر الحج في تشرين الثاني ٢٠١٤ ما هو إلا دليلٌ على التزامهم الكاملِ بأهدافِ ثورة الحرية والكرامة؛ وبرهانٌ على أنهم جزءٌ لا يتجزَّأ منها .

حصلتِ المديرية مؤخَّراً على سبع عشرة آلية من وحدة تنسيق الدعم، وهي تصل تِباعاً عبرَ باب الهوى؛ مما أدى إلى تغيير الأمورِ نحو الأحسن. ومع ذلك يعاني جهاز الدفاع المدني من نقصٍ في المَعدَّات والتجهيزات والوسادات الهوائية.. كذلك فإنَّ أغلبَ آلياتِه قديمةٌ، أما الحديثة منها فليس لها قطع تبديل حالياً، وممكنٌ في أيَّة لحظةٍ أن تتعطلَ وتتحوّلَ إلى مجرد خُردة.

هناك نقصٌ بأجهزة الاتصالات الحديثة، فأغلبُ الأجهزة الموجودة هي قديمةٌ ولا تفي بالحاجة؛ وبسببها سقط ثلاثة شهداء للمديرية في منطقة الحيدرية بحلب (آذار ٢٠١٤)، حيث ألقى الطيران المروحيُّ الأسدي برميلاً متفجراً بنفس المنطقة التي رمى برميلاً سابقاً عليها، مع تواجد عناصر الدفاع المدني، ولم يستطعْ أحدٌ إخبارَهم بالأمر حتى يأخذوا احتياطاتِهمُ اللّازمةَ ويُخلوا المكان؛ لذلك فمديرية الدفاع المدني بحاجةٍ ماسَّةٍ لمنظومة اتصالاتٍ حديثةٍ يصِل مداها إلى جميع أنحاء محافظة حلب.

قُصِفت أغلبُ مراكز الدفاع المدني بحلبَ وريفها بالبراميل والصّواريخ أكثرَ من مرةٍ، مما أدى إلى تدميرها كليّاً أو جزئيّاً. وبعض هذه المراكز، خصوصاً الريفيّة منها، بحاجةٍ إلى ترميم وحفرِ آبارِ مياهٍ للتزودِ بها أو تنظيفِ القديمة منها، بدلاً من أن تشتريها على نفقتها.

قام جهازُ الدفاع المدني بإنقاذِ حوالَي أربعة آلافِ شخصٍ خلالَ الفترةِ القريبةِ الماضيةِ، لكن هناك دراسةٌ تؤكّد أنه أنقذَ حوالي عشرةِ آلافٍ ومائتين وإحدى وعشرين شخصاً خلالَ عملِه كلّه.

عند زيارتكَ لأحد مراكز الدفاع المدني تشعرُ أنّك تجلس معَ أسرةٍ مترابطةٍ متآلفةٍ متعاونةٍ منَ الرّجال الحقيقيين، فهم يُحِبّون المرح والمُزاح، ما يجعلُك تنسجم معهم مباشرة، وتصبح واحداً من أسرتهمُ الجميلة.. إنهم جنودُ الثورةِ المجهولون الصامدون حتى الآن كدرعٍ من دروعها القوية؛ ولن يتوانَوا أبداً عن إنقاذ الأرواح - على الجبهات أو في المناطق المدنية - مهما كلّفهم هذا من تعبٍ وجُهدٍ وعَرَق وتضحياتٍ؛ فشِعارُهم دائماً قولُه تعالى:

(مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً)...

حمص عاصمة الألم

مجلة "المرآة" تدخل مدينة حمص المحتلة وتنقل لكم ما رأته:

حمص البارحة

قامت حمص بمظاهرتها الأولى في 25 آذار 2011 من أجل إسقاط النظام؛ حيث مزق شبابها – لأول مرة – صور المقبور حافظ الأسد على مدخل نادي الضباط.. حمص التي دخلها الجيش الأسدي منذ الأسابيع الأولى للثورة وتمركز في أحياء باب عمرو وباب السباع والبياضة وغيرها من الأحياء.. حمص التي ظلت على وتيرة ثورتها العالية ضد النظام، بينما أصاب الخدرُ مدناً أخرى، وبقيت المدن الكبرى

دون أي حراك ثوريّ يُذكر.. حمص وصلت إلى مرحلة من الاستنزاف والموت لم يسبق لها مثيل.. حمص خسرت خيرة شبابها وبناتها، وهُجِّر أهلها، ودمرت كلُّ بنيتها التحتية تقريباً.. حمص أحرقت نفسها من أجل أن تستمر الثورة، بعدما أدركت أنها لن تستطيع لوحدها إسقاط النظام.. حمص دفعت فاتورة غالية من أجل أن تعمّ الثورة كل أرجاء سورية.. حمص خسرت معركتها، لكن هدفها كان نبيلاً صادقاً متوهجاً... قُتلت عشراتِ المرات وبقي العالم يت فرج بلذة

على مشاهد قتلها!
هل للبطولة من معنى غير دخول حرب يعلم الداخل فيها ويعي أنها خاسرة. لكنه يجد في خسارته وموته ربحاً وحياةً لقضيته!
حمص أفنت نفسها – مدينة وريفاً – من أجل سورية؛ وحلمِها – كما الشمعة – تذوب من أجل أن تنشر ضوءاً ضئيلاً حتى تشرق الشمس!
ربما تعيش حمص – عاصمة الألم – الآن حالة سُباتٍ وغفوة رغم كل ما قدمته؟ لكن ستبقى حمص عاصمة الثورة؛ وستعود إلى الواجهة حتماً!

حمص اليوم

حمص الآن كلها محتلة؛ ولم يبقَ بيد الثوار إلاَّ الريف الشمالي وحيُّ الوعر.. حمص بعد الهدنة – حمص المطهرة كما يقول النظام – تعيش على دمارها؛ فالنازحون ما زالوا بمراكز الإيواء أو ببيوت مستأجرة.. ما زالت المحلات مغلقة، رغم أن نظام الأسد أراد فتح شارع الدبلان – الشارع التجاري الأهم فيها – إلا أن هناك أربع محلات فُتحت فيه حتى الآن!
حافظ النظام على منطقة الحميدية من الدمار نوعاً ما؛ وهذا جعل بعض سكانها يعودون إليها؛ لكن الأخوة المسيحيين طلبوا خروج ما يسمى "قوات الدفاع الوطني" – الشبيحة – منها، لأنهم (عفشوها) كلها تقريباً!
باقي أحياء حمص القديمة مدمرةٌ كلياً أو جزئياً؛ وهي مغلقة لا يستطيع أحد الدخول إليها أو الخروج منها. أما الأحياءُ المأهولةُ بالسكان فهي تعيش بالحدِّ الأدنى من الحياة؛ وقد انتشرت فيها البسطاتُ وأسواقُ التنك لتأمين أبسط مقومات العيش...

هناك سمتان بارزتان وسيّئتان تطغيان على الحياة العامة في حمص:
الأولى: هناك أحياء عادت تعيش الحياة بشكل متعالٍ نوعاً ما؛ فقد صادق أهلها قوات الأسد، وعادوا – بعد خروج الثوار – ليتجولوا بالأحياء دون أدنى حس أو مسؤولية.. بالطبع لا أنكر عليهم هذا، ولكن عليهم الرفق بدماء من رحل وغادرنا شهيداً!
الثانية: هو انتشار ظاهرة الاعتقال والخطف من جديد.. أناس يُعتقلون وآخرون يختفون، ولا شيء يخبر عنهم!
قام أحدهم بزيارة حي من الأحياء التي تسيطر عليها قوات الأسد بعد الانتخابات وقبل رمضان، وهو حي محاط بأسوارٍ عالية ومقسَّمٌ بحواجزَ عند كلِّ مدخلٍ من مداخله.. تجوّلَ بالحيّ واستطاع إحصاءَ 332 صورةٍ للقائدِ المُبجَّل على واجهاتِ المحالِّ التجارية وزجاج السيارات؛ و58 بوستراً كبيراً بمساحة 8/8 - 8/4 مضاءة بالأضواء الكاشفة.. لقطات عسكرية ومدنية تجسد القائد المجرم تحتّلُ جميعَ ساحاتِ الحيّ ومداخله. هذا عدا اللافتاتِ التي ملأت كافة الجدران حاملةً فكره، الذي هو استمرارٌ لفكرِ أبيه الفذِّ ومنهجه الصحيح – كما يزعمون.. إنّه شيءٌ مقززٌ فعلاً!

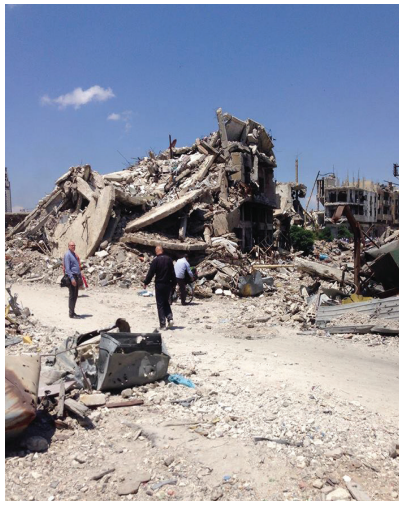

هناك أمر آخر يخص حمص، وهو أن كل منطقة منها يسيطر عليها فرعٌ أمنيٌ خاص: فرع أمنِ الدولة مسؤولٌ عن حيّي الحمراء والغوطة؛ فرع الأمن السياسي مسؤول عن حي الإنشاءات؛ فرع الأمن العسكري عن حيي المحطة وكرم الشامي... وهكذا دواليك. أضف إلى ذلك ظهورَ دورياتٍ مشتركةٍ تتنقلُ بشكلٍ دائمٍ بين كلِّ الأحياء، ووجود نقطةِ أمنيةٍ تابعةٍ للفرعِ في كلّ حيٍّ تقوم بالتحقيق والاعتقال وما شابه ذلك...

إنّ تأملَ حالِ الثورةِ السورية اليوم بكل تداعياتِها ومفاخرِها وارتداداتِها، ومثالُها حمص، لابد أن يلفتَ النظرَ إلى المقارنة مع بداية الثورة، حين خرجت جماهير سورية على قلبٍ واحدٍ وإرادةٍ واحدة، لا تمييزَ بين سوري وآخر، ولا تفاضُلَ بين مواطنٍ وغيره... وها نحن اليوم، وقد شارفت الثورة على إنهاء عامِها الرابعِ، وانتشر في صفوفها الانتهازيون والمدعون والكذابون والسماسرة، نسأل الثوار لماذا تسكتون على هؤلاء؟

يأتي الجواب عبر حكمةٍ مريرةٍ مفادُها أن معركتنا الأساسية مع الأسد وأتباعه وأعوانه المباشرين؛ وأن السلاح الذي لا يُوجه إلى النظام المجرم هو سلاحٌ آثمٌ مشكوكٌ فيه. لكنَّ ذلك لا ينفي أبداً بأنَّ من المؤكدِ أنَّ وقتاً سيأتي لمحاسبة الفاسدين والمستغلين، ألا فعساه أن يكون قريباً!

ماذا بقي لنا أن نقول بعد كلِّ ما حصل لحمص؟

ربما يجد الإنسان العاقل في هذا التحقيق الصغير إجابةً على بعض الأسئلة المؤلمة: ماذا أصاب حمص؟ لمَ لمْ تعد تؤثرُ في الحرب ضدَّ النظام؟ هل ستعود إلى واجهة الثورة من جديد؟ هل يمكن الثقة بالأسد والعودة إلى أحضانه بعدما جرى بحمص؟

روبرت كينك

كتاب صحراء الديمقراطية

الصّحفيُّ روبرت كينك *

التقت مجلة "المِرآة" الصحفيَّ والفنانَ والرّسّامَ الأمريكيَّ روبيرت كينك في مرسَمه الواقعِ في مدينة برلين. والذي يُعدُّ من أكثرِ الصّحفيّين والفنّانين اهتماماً بالثورة السُّوريَّة. قام روبرت كينك بتغطية العديدِ من الحروب منذُ عام ١٩٩١، وقد تم تصوير فيلم وثائقي عام ٢٠٠٩ بعنوان "تصوير روبرت كينك" عن نشاطه خلال ١٥ سنة من عمله. ويعمل الآنَ مديراً لقسم الفيديو في دار "بيلد" الألمانية للنشر.

وعبْرَ مسيرته الصحفية الطويلة بين مناطق الحرب، كان لسوريةَ نصيبُ الأسد من اهتماماته، حيث زارها عدَّة مرات، وألّف كتاباً عنها نشره بدايةَ عام ٢٠١٤.. عقّب روبرت قائِلاً: "الأزمات التي عانيتُها بعدَ زيارَتِي لسورية، كان عليَّ أن أعبّر عنها بالرسم".

لم يتوقف نِتاجُه الفنيُّ حولَ سوريّة على اللوحات فحسْب، بل أضاف إليه كتاباً بعنوان "صحراء الديمقراطية"، حيث علّق روبرت قائِلاً: "منذُ عام ٢٠١٢ وثّقت أحداثٌ مأساوية غيرُ متوقَّعةٍ وصارِخة ضدَّ المدنيّين وفي المشافي من قِبَل نظام الأسد، بالإضافة إلى العديد من انتهاكاتِ حقوق الإنسان وجرائمِ الحرب. وبعدَ دخولِ الأزمة عامَها الثالث، لم يكن هناك أيُّ دعمٍ دوليٍّ من قِبل قادة الدّيمقراطيّة لإنهاء القتل؛ لكن النتائجَ كانت مئة ألف قتيلٍ سوريٍّ، وأكثرَ من ثمانيةٍ وعشرين ألفِ مفقودٍ، وأربع ملايين سوريٍّ نازحٍ داخلَ بلادهم، ومليونَ ونصف لاجئٍ في دُولِ الجِوار".. كذلك قال روبرت: "كصحفيّ، ليست مهمَّتي أن أبحثَ عن الصور الأكثرِ جمالاً في الحرب، والتي قد يتقبَّلها الجمهور. لقد اكتشفتُ أنَّه من الأسهل أن يقوم الجمهورُ بإدانةِ صانعِ الصُّور بدلاً من إدانة مرتكبي الجرائم ضد

إحدى صوره الملتقطة بسورية

سورية
كما رسمها الفنان كينك

المرأة ضد المرأة

الإنسـانية!".

كتـابُ "صحـراء الديمقراطيـة" هـو أوَّلُ كتـابٍ مصـوَّرٍ عـن الحـربِ فـي سـورية، حيـث اسـتطاعَ روبـرت الدخـولَ إلـى هنـاك، بينمـا رحـلَ الجميـع.. لقـد بقـيَ هنـاك؛ لذلـك يُعتبَـرُ روبـرت أحـدَ القلائـلِ الذيـن يمكـن أن يشـرحوا لـكَ مـا حـدث بالضَّبـط. يوضِّـحُ هـذا الكتـابُ الحقيقـةَ البشِـعة، كمـا ويحتـوي علـى قـرصٍ "سـيدي"، فيـه فيلـمٌ وثائقـيٌّ، قـام كينـك بتصويـره أيضـاً خـلالَ فتـرةِ وجـودِه هنـاك.

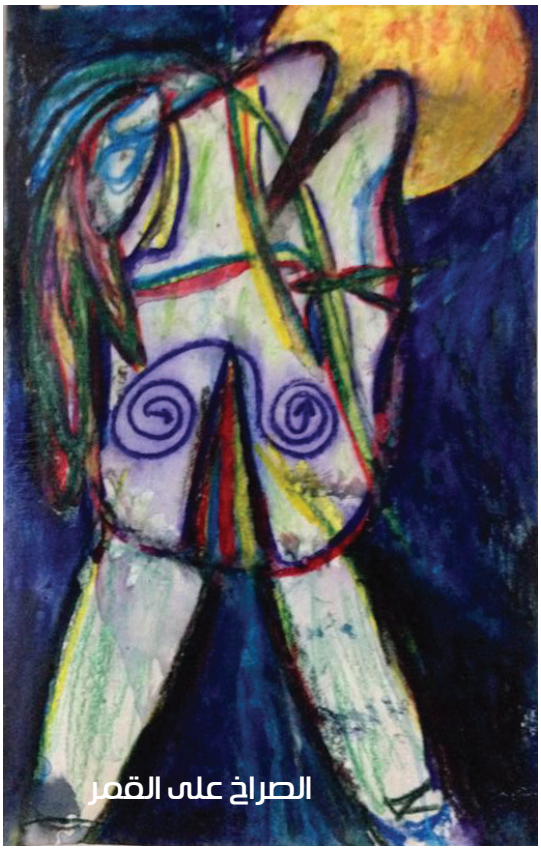

الصراخ على القمر

مـرَّ الصّحفـيُّ والرَّسّـامُ روبـرت كينـك بأزمـةٍ عائليـة، وقـد عبَّـر عنهـا فـي رسـوماته.. يقـول عـن هـذا: "لـم أتوقَّـع حجـمَ المشـاكلِ مـع أصدقائـي بسـببِ أزمتـي العائليـة، وتأثيـرِ ذلـك علـى محيطِـي. لكـن مـا زلـتُ صامـداً.. الحـبُّ والصداقـةُ أشـياءُ خلاقـة".

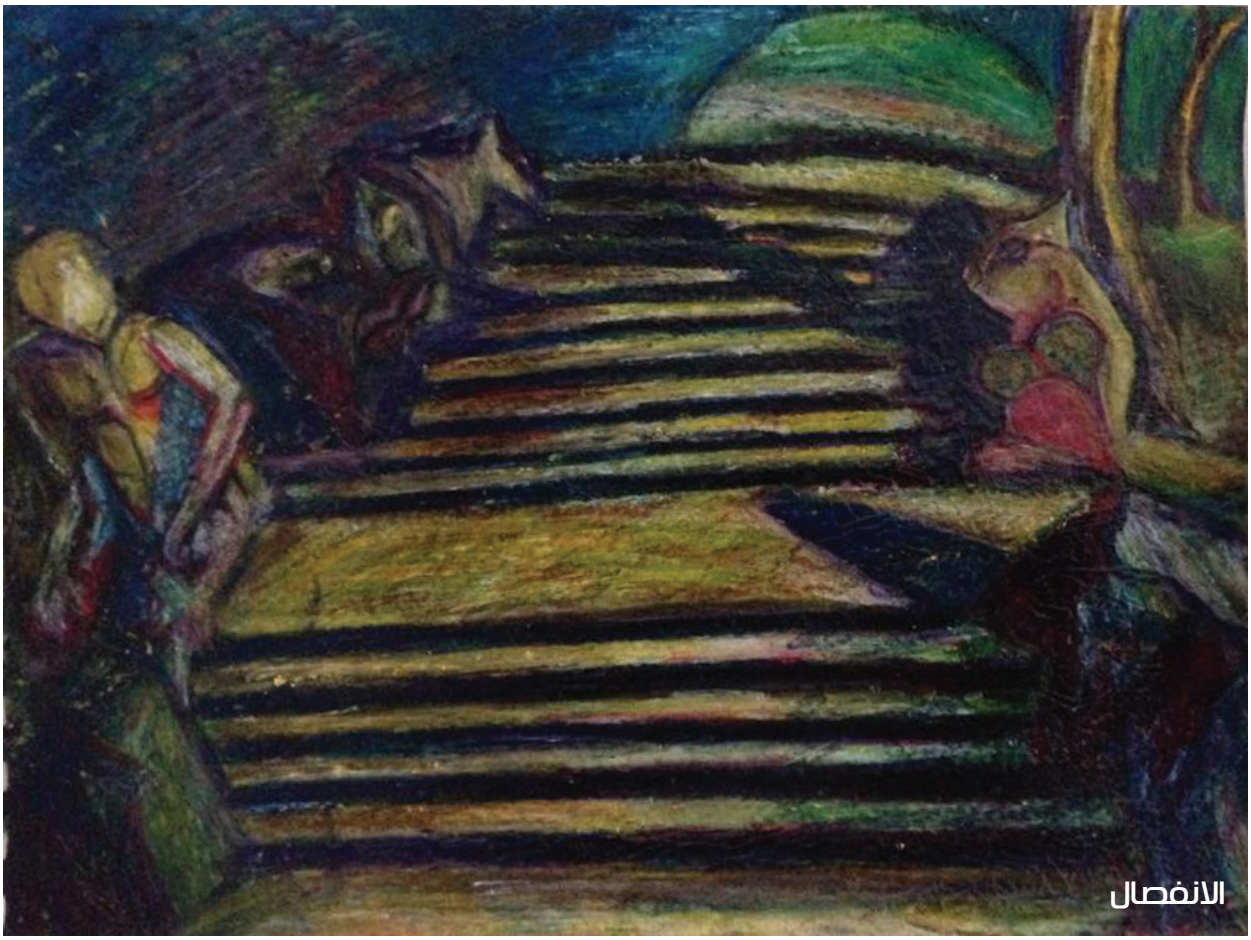

الانفصال

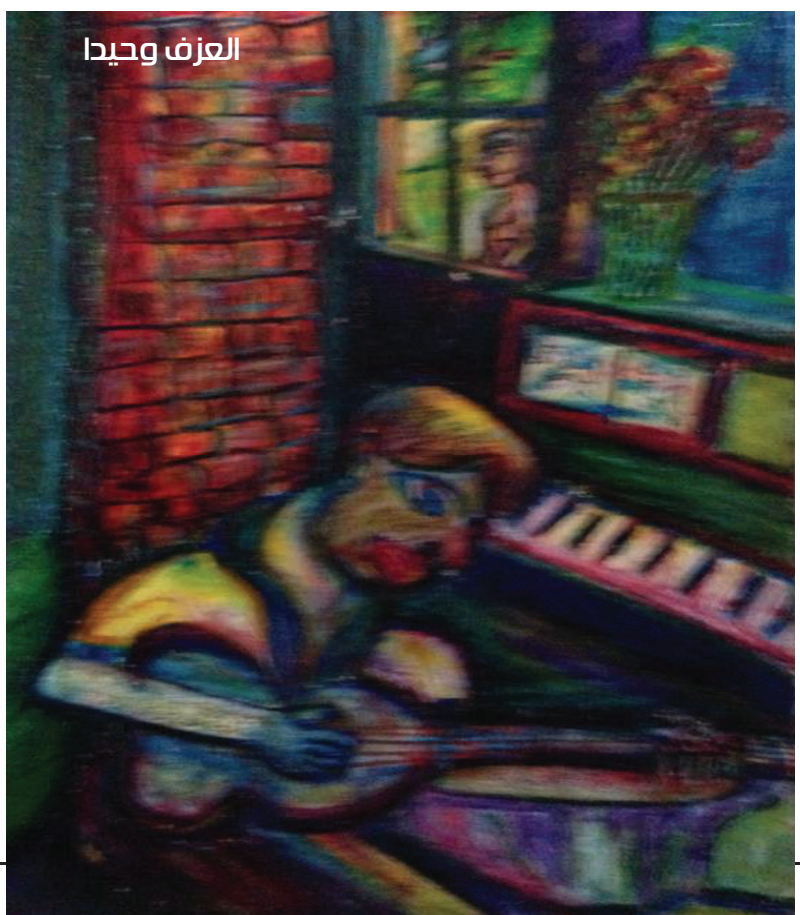

العزف وحيدا

* وُلدَ روبيرت كينك في ولاية ممفيس في أمريكا عام ١٩٦٩، ودرس الرسمَ في جامعتها، كما واشتغل مصوّراً صحفياً مستقلاً، وعمل مع "النيويورك تايمز" و"النيوزويك"، والعديد من وسائل الإعلام الأُخرى. وهو يشغل حالياً رئيسَ قسم الفيديو في دار النشر الألمانية "بيلد".

الغروب خلف الأعمدة الأثرية في مدينة تدمر التاريخية التي تبعد ٢٤٠ كم شمال العاصمة السورية (تصوير خالد حريري - رويترز، www.al-monitor.com

داعش تجني الملايينَ من التّحفِ المسروقة

تأليف: سِم إرسيس
ترجمة: محمد الموسى

يكسب تنظيم الدّولة الإسلامية دَخلاً ملحوظاً من نهب التّحف الأثريَّة في سورية والعراق؛ حيث يشجّع الحفرَ في المواقع الأثريَّة ويأخذ حصّةَ الأسد من المبيعات. يُقال بأن كلَّ التّحف يجري تهريبُها عبرَ تركيا إلى المُشترِين في جميع أنحاء العالم.

وصل نهبُ التاريخ إلى مستوياتٍ لا تُصدَّق بين الفِرَق المتحاربة، واللّامبالاة تجاهَ الإرث التاريخي؛ زِد على ذلك المهرّبين الدّوليّين المستفيدين من فَراغ السُّلطة في عِدَّة مناطق. نُهبت مواقعُ تاريخية عمرُها آلافُ السنين بشكلٍ منظّم، بينما تتبادلُ سلطاتُ النظام وقواتُ المعارضة الاتهاماتِ بشأن النّهب والتدمير. الدولةُ الإسلاميةُ - القوَّة المظلِمة في المنطقة - ما تزال متهوّرةً وغيرَ مباليةٍ بهذه القضية أيضاً؛ فقد جعلت من نهبِ التحف الأثريَّة عملاً منظّماً، وحوَّلته إلى مصدر دخلٍ لنفسها. وهناك مخاوفُ معروفة بأنها ستسلبُ العراقَ بطريقةٍ مشابهةٍ.

من المعروف بأنَّ الدولةَ الإسلاميةَ لا تحترم أيَّ شيءٍ أبعدَ من معتقداتها، ولا تتردَّد بتفجيرِ وتدمير القبور والحُسَينيَّات والكنائس المسيحية، وتعتبر هذا واجباً أيضاً.. كذلك لا يتردّد التنظيمُ بهَدْم التراث الثقافيّ الثابت، وبيعِه الممكِن عبرَ نقله للمهرّبين الغربيين. ظهرت تقاريرُ مرعبة في وسائل الإعلام الغربيَّة.. بعضُ هذه التقارير يقول بأنَّ نهبَ التحف الأثرية قد أصبح مصدرَ الدخل

الأساسيّ للدولة الإسلامية؛ إذ تشير التقديرات بأنَّ المالَ المكتَسب بهذه الطريقة، ليسَ أقلَّ من المال الذي يجمعه التنظيم من التبرعات والابتزاز (الضرائب) لتمويل نشاطاته. تُشجّع الدولة الإسلامية الحفرَ في مناطق سيطرتها. كلُّ المواد المنقّبِ عنها تُرسَل إلى الأسواق الغربية بمساعدة مهرّبين دوليّين. إنضمَّت ميليشياتُ الدولة الإسلامية لأعمال السَّلب في البداية، لكن بعدَ أن أعلنَ التنظيم عن قيام دولته، إعتمد طرقاً أكثر تنظيماً. فهي الآن تشرف على عمليات التنقيب في المواقع، وتأخذ نسبة ٢٠ % ضريبةً نهبٍ من المهرّبين. وَوفقاً لصحيفة "الغارديان" فإنَّ الدولةَ الإسلاميةَ جمعت 36 مليون دولارٍ أمريكيٍّ من بيع التحف؛ بعضها عمره 8000 سنة، مستخرَجَة من منطقة النّبك وحدِها .

أشعل احتلالُ التنظيم لمواقعَ في العراق شرارةَ موجاتٍ جديدة من القلقِ على الإرث التاريخيّ لبلدٍ ما زال على وشَك التعَافي من التدمير الثقافيّ الذي تلا غزوَ الولايات المتحدة له عامَ ٢٠٠٣.

قال وزيرُ السِّياحة العراقي في الشهر الماضي إنَّ حوالَي ٤٥٠٠ منَ الأوابدِ التاريخية قد تضرَّرت أو سُرِقت مسبَقاً، حاثّاً العشائرَ المحلية واليونسكو على حماية مدينة آشور وهادار ونمرود. في سورية – التي تحوي سِتةَ مواقعَ على لائحةِ التراث العالمي - هناك ٩٠ ٪ من الإرث التاريخي للبلد يُعتقدُ أنه يقعُ الآن ضمنَ حدود مناطق الاشتباكات الحاليَّة. إزديادُ حِدَّة الأوضاع دفع المجلسَ الدوليَّ للمتاحف لإصدار تقريرٍ طوارئٍ، مُظهِراً قائمة من المواد الثقافيَّة السوريَّة المعرَّضةِ للخطر.. كذلك حثّت جميعَ المتاحف، وهواةَ جمع التحف، وأماكنَ المزادات العلنية عبرَ العالم، ألا يُحصلوا أو يبيعوا مثل هذه المواد. عبَّر تقريرُ المجلس العالميّ للمتاحف عن قلقٍ خطيرٍ للتهديد الذي يواجه التراثَ الثقافيَّ السوريَّ المتنوّع - طبعاً للذين يريدون الاستماع - لأنَّ التِّجارةَ المحظورة تدعمُها، بلا شكٍّ، الشهيَّةُ الجشِعة لهُواة جمع التحف الغربيين.

صور جوجل توضّح كلَّ شيءٍ عن الموضوع

صور جوجل - من السهلِ الوصولُ إليها على الإنترنت - توضّح كيفَ دُمِّرت مواقعُ أثرية أساسية، وأصبحت تُشبه تلالَ الخُلد خلالَ سنةٍ واحدةٍ فقط. الصورُ التي نُشرت من قِبل "ناشنال جوغرافيك" في تموزَ تُظهر الحالةَ المأساويةَ لمدينة أفاميا السوريةِ العريقةِ، والتي تقفُ على لائحة التراث العالمي. يُظهر موقع "ثقافة التهريب" صوراً أكثرَ وضوحاً؛ فقد سُلبتِ المدينةُ الرُّومانية القديمة بطريقةٍ لم تُشبه أيَّة طريقةٍ أُخرى خلالَ ٢٠٠٠

سنةٍ من التاريخ.. في العام ٢٠١١ تُظهر صورُ جوجل المنطقةَ آمنةً؛ وبعدَ أقلَّ من سنةٍ ، في نيسان ٢٠١٢، تجعل الحُفر المتروكة خلفَ الحفريات المحظورة، المشهدُ يبدو مثلَ حقلٍ اجتاحته الخُلود. لا شكَّ بأن اللصوصَ الذين سلبوا المدينةَ القديمة نقلوا التحفَ التي وجدوها إلى جامِعِي تُحَفٍ غربيّين.. لقد سهَّل فراغُ السلطة هذا النوعَ من السَّلب، حيث يُقال بأنَّ الدولةَ الإسلامية كانت وراءَ ذلك؛ وهي إحدى أغنى التنظيماتِ الإرهابية في العالم. تهريبُ التحف الذي يتحكم به تنظيم "داعش" يُقدَّر بمليارِ دولارٍ تقريباً. تقدِّر منظمة "اليونسكو" تحفَ الحربِ المهرَّبة من مناطق الصِّراعات بقيمة 2.2 مليون دولارٍ على مستوى العالم في السوقِ السوداء. والأسوَأ من ذلكَ أنَّه كلما زاد علمُ الجماعاتِ المتحارِبة بالسوق، كلما زادت هذه التجارة؛ حيث أصبحت تجارةُ التحفِ المحظورةِ ثالثَ أكبرِ سوقٍ إجراميّ، بعد تهريبِ السلاح والمخدِّرات.

طريق داعش - تركيا

أجرى جاسون فلش، مؤلف كتاب "مطاردة إفروديت"، مقابلةً مع عَمرو العظم - عالم آثارٍ معروف في المنطقة - الذي ترأّسَ

مـرةً مركـزَ الاسـتعادة (اسـتعادة المسـروقات) فـي دمشـقَ، وسـكن فـي الولايـات المتحـدة. فـي المقابلـة التـي نشـرها فلـش علـى موقعـه الإلكترونـي يقـول العظـم بـأن الحكومـةَ السـوريةَ تكُـفُّ النظـرَ عـن عمليـات السَّـلب، بينمـا الدولـةُ الإسـلامية تقـول للنـاس فـي مناطـق سـيطرتِها بأنهـم أحـرارٌ بالبحـث وبَيـع التحـف التاريخيـة، بشـرطِ أن يدفعـوا الضريبـة طبعـاً. وبالنتيجـةِ أسـرَعَ عـددٌ مـن المهربيـن، بينهـم أتـراكٌ، بالدخـول بالبَلـدوزَرات . يتّهـمُ العظـمُ تركيـا وبعـضَ مواطنيهـا بلعـبِ دورٍ قيـاديٍّ بهـذه العمليـة المُشـينة. طريـقُ المهرّبيـن السـريعُ يمـرُّ عبـرَ تركيـا، حيـثُ تسـرَّبت كلُّ التحـف إلـى جميـع أنحـاءِ العالـم عبـرَ هـذا البلـد. بـدأ بعـضُ التجـار الأجانـبِ القـدومَ إلـى سـورية، لكـنَّ الوضـعَ أصبـحَ خطيـراً عليهـم. الآن يتسـكّعُ أغلـبُ التجـار علـى الحـدود التركيـة. التّجارُ الأتـراكُ فقـط يأتـون إلـى الداخـل السـوري، ليقابلـوا التّجـارَ المحلّيـن، حيـث يشـترُون الآثـارَ ويعـودون بهـا. أحـدُ المراكـز الأساسـية للتجارة المحظـورة موجـودٌ فـي تـل أبيـض، علـى الجانـبِ السـوريّ عبـرَ الحـدود مـن أورفـا. يقـول العظـم: يوجـد أيضـاً الكثيـرُ مـن التهريـبِ عنـدَ الحـدودِ التركيـة لبلـدةِ كلّـس التركيـة، ومـن هنـاك لا أعـرفُ أيـنَ تذهـب؟! ويقـول أيضـاً: سُـلِبت بعـضُ المواقـع المشـهورةِ، وأعِيـدَ ترتيبُهـا مـن قِبـل جامِعِـي التحـف، مثـل "قبـر الإخـوة الثلاثـة" فـي تدمـر، الواقـعِ تحـتَ سـلطة النظـام السـوري. قـادتِ الحـربُ فـي المنطقـة إلى نزفِ الكثيـر مـن الدِّمـاء علـى مسـتوىً واسـعٍ؛ وقـادت أيضـاً إلـى الهجـرة والخـراب، حيـث بـدا أنَّ المظهـرَ الثقافـيَّ قـد تـمَّ تجاهلُـه مـرةً ثانيـة، ليصبـحَ كقضيـةٍ سـيُرثى لهـا لاحقـاً. النّهـبُ والسَّـلب هـو عمليـةٌ فظّـة تُزيـل وتمسـح هُويَّـةَ النـاس الذيـن يعيشـون فـي هـذه الأراضـي.. واسـتمرارُها لأمـدٍ طويـلٍ سـيجعلُها مرضـاً مستفحِلاً غيـرَ قابلٍ للشفاء!

تدمير مئذنة الجامع الكبير بحلب ٢٠١٣

*المقال موجودٌ بلغته الأصليَّة (الإنكليزية) على الرابط:

http://www.al-monitor.com/pulse/security/2014/09/turkey-syria-iraq-isis-artifacts-smuggling.html

Islamic State makes millions from stolen antiquities - Al-Monitor: the Pulse of the Middle East www.al-monitor.com

هذا ما فعلته آلة الأسد الحربية بشارع باب النصر الأثري في حلب

وراء الكواليس

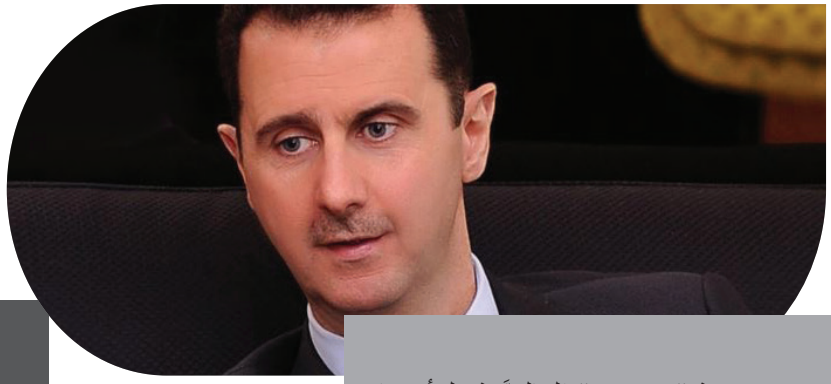

الأسدُ مرشَّحٌ لدخولِ كتابِ غينيس

مِـنَ المفـروض إدخـالُ نظـامِ الأسـد إلـى موسـوعةِ "غينيـس" العالميَّـةِ، للأرقـام القياسيّة، وذلـك لتنفيـذه نحـوَ ألفَـيْ غـارةٍ جويـةٍ بحـقّ شـعبه السـوريّ خـلالَ أربعيـنَ يومـاً، وقتلِـه وجرحِـه نحـو ألفَيـنِ وخمسـمائةٍ مـن أبنـاء هـذا الشـعب.

الجربا يُجرّبُ بالقامشلي

وصـل رئيـسُ الائتـلاف السُّـوريُّ المعـارضُ السـابق أحمـدُ الجربـا إلـى القامشـلي برفقةِ وفدٍ رفيعِ المستوى مُؤَلّفٍ من خمسة شخصياتٍ سياسيةٍ ائتلافيَّة؛ من أجل إجـراءِ لقـاءٍ رسـميٍّ مـع السـلطات المحليـة التابعـة للنظـام السـوريّ هنـاك، ومـع شـخصياتٍ قياديـةٍ تابعـةٍ لحـزب الاتحـاد الديمقراطـيّ(pyd) .

سياحة الحرب السُّورية في الجَولان

نشرتْ صحيفةُ "هآريتس" الإسرائيليةُ خبراً مَفادُه أنَّ سُيَّاحاً يهوداً يأتون إلى الجَولان المحتلّ من أجلِ مشاهدةِ أفلامِ الحرب السوريَّة، بما تحتويه من مشاهدَ مثيرةٍ: إطلاقُ رصاصٍ وقذائفُ وصواريخُ، رميُ براميلَ وحاوياتٍ متفجرة...
يشاهدون كلَّ هذا، وهم يتناولون القهوةَ مغمورين بشعورٍ غريبٍ منَ السعادة والحُبور...

خطأ إعلاميٌّ

عرضت قناةُ الأورينت تقريراً مصوَّراً في العشرين من تشرينَ الثاني عامَ ٢٠١٤ عن جبهةِ حندرات (شمالَ حلب) لمراسِلها خالد أبو المجد، قال فيه أحدُ الضيوف الثوّار إنَّ هناك مقاتِلين لِـ "لِواءِ القدسِ" الشيعيِّ الإيرانيِّ يقاتلون على هذه الجبهةِ مع قوّاتِ الأسدِ؛ وأكَّدَ المراسلُ في الأخير ما جاءَ على لسانِ الضَّيف أنه لواءٌ شيعيٌّ.

وهذا خطأ كبيرٌ يرتكبه المراسلُ والمشرفُ على البرنامج الإخباريّ في القناة؛ لأن لواءَ القدس هو لواءٌ مشكَّلٌ ـ على الأغلب ـ من مرتَزَقةِ مخيمَي النيربِ وحندرات للاجئينَ الفلسطينيّين، الواقعينَ على أطرافِ مدينة حلبَ الشماليّة والشرقيّة. وهو من أهمِّ الميليشيات العسكريّة التي تقاتلُ إلى جانب قُوَّات الأسد على جبهات مدينة حلبَ وريفها .

شجاعة في غيرِ محلِّها

في أوائل شهر تشرينَ الثاني عامَ ٢٠١٤ حدثتْ مُشادَّةٌ كلامية عندَ مركزٍ لتوزيع الإغاثة في قرية الشيخ عيسى، التابعةِ إداريّاً لمنطقة تل رفعت، بينَ أفراد عائلة رسلان، تحولت فيما بعد إلى معركةٍ ضاريةٍ استُخدِم فيها السلاحُ الخفيف، وأدَّت إلى سقوط قتيلَين وأكثر من خمسة عشَر جريحاً بعضُهم في حالةٍ خطِرةٍ.. هؤلاءِ الضحايا سقطوا من أجل بَطّانيّة؛ فهل هم بحاجةٍ إليها فِعلاً؟ وهل تستحقُّ كلَّ هذه التضحيات؟

تكريمٌ للفنّانِين الشبّيحة

كرَّمَ نظامُ الأسد – منذ فترةٍ قصيرةٍ – عدداً من الفنانِين المحسوبين عليه، أمثالَ: فادية خطاب، أحمد رافع، شادي جميل...

لكنَّ المُلفتَ للنظر أنَّ شادي جميل – ابن حلبَ الشهباء – الذي غنى أغنية "شهباء وش عملوا فيك"، متّهماً الجيشَ الحرَّ بتخريب حلب "بجنونٍ"؛ تناسى تماماً ما فعلته قذائفُ وصواريخُ وبراميلُ الأسدِ بمدينته!

يُهرّبون نقودَ الثورة

أوقفتْ شرطةُ الحدود التركيَّة سيّارةَ أحد أعضاءِ الائتلاف السوريّ المعارض البارزينَ وبحوزته خمسةٌ وعشرون مليونَ دولارٍ أمريكيّ يريدُ تهريبَها إلى خارج البلاد؛ لكنَّ السلطاتِ التركيةَ العليا امتنعت عن ذكر اسمِ هذا الشخص وأفرجت عنه مع الأموال، بعدما تدخَّلتْ إحدى الدول المؤثّرة وتوسَّطت لديها من أجل هذا الموضوع!

اقترابُ موعدُ المعركةِ الكبرى

نقلت بعض الأوساطِ الاستخباراتيَّة العالميَّة أنَّ اللقاءَ المنتظرَ بين الضّابط الأسديّ سهيل حسن الملقب بـ "النمر"، وأميرِ جبهة النصرة أبو محمد الجولاني - "الفاتح" قدِ اقترب، وأنَّ المعركةَ الكبرى ستكون في ريف حماة، حيث يتواجد الفاتِحُ مع ألفٍ وخمسمائةٍ من مقاتليه.. هذا يدل على أنَّ الأسدَ يحسبُ حسابَ جبهة النُّصرة أكثرَ بكثيرٍ مما يحسِبُ لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"!

شعبان عبد الرحيم مطلوبٌ لداعش

وضع تنظيمُ "داعش" المطربَ الشعبيَّ المِصريَّ شعبان عبد الرحيم، المعروف بـ "شعبولا"، على لائحة المطلوبين لديه، وأهدرَ دمَه؛ بسببِ أغنيته الجديدة التي تهاجمُ التنظيمَ وزعيمَه أبا بكرٍ البغدادي.

قال عضوُ التنظيم أبو العزّ على موقع فيس بوك: "لا نَجوتُم إنْ نجَا ذلكَ الزّنديقُ الذي يستهزئُ بأمير المؤمنينَ ودولة الخلافة". كذلك وجَّه حسابٌ للتنظيم على توتير، باسم صليل الصَّوارم، رسالةً إلى أنصار الدّولة: "هناك مطربٌ مصريٌ اسمُه شعبان عبد الرحيم يسبُّ خليفتَنا في أغنيةٍ ويصِفُه فيها بأميرِ المُجرِمين.. مَن يأتينا برأسِه يا أنصارَ الدولة؟". فيما أكَّدَ المطرب نفسه، أنه لا يهتمُّ بتهديدات ذبحه، وعلّق ساخراً: "أنا قلقان عبد الرحيم؛ أي حد يزعّل مصر هزعّلُه"!

كيفَ تصبحُ قاضياً في خمسةِ أيَّام

في الثاني والعشرين من تشرينَ الثاني عامَ ٢٠١٤ أصدر مجلسُ القضاءِ السوريّ، الذي يضمُّ غالبيةَ القضاة والبالغُ عددُهم أكثر من سبعين قاضياً، بياناً اعترض فيه على ترشيح القاضي المتقاعدِ قيس الشيخ، كونه كبيرَ المستشارين في ما يُسمَّى "المعهد العالي للقضاء" الذي يقوم على فكرة إلغاء القوانين السوريةِ واعتمادِ القانون العربيّ الموحَّد، إضافةً إلى منحِه شهادةَ قاضٍ لكلّ من يتبع دورةً لديه خلال بضعةِ أيام، دونَ اشتراطِ أن يكون متّبعُ الدورة من حَمَلة الإجازة في القانون. وقد اعتُبِر ذلك مؤشراً سلبياً وانحرافاً عن الثوابت التي تعمل على احترام قوانين البلاد والحفاظ على مؤسسات الدولة، لأنها مُلكٌ لكلّ السوريين...

اعتقالُ منشدِ حزب الله

اعتقلت قُوى الأمن العامّ اللبنانية في الخامس والعشرين من تشرين الثاني عامَ ٢٠١٤ المنشدَ اللبنانيَّ علي بركات بسببِ أناشيده، لِاسيَّما أنشودةَ "إرهابك يا سعودية"، التي اعتُبِرت مهينةً، وتمسُّ العلاقاتِ الدبلوماسيةَ بين لبنانَ والسعودية.

يُذكَرُ أن بركات هو من مواليد بلدة رب ثلاثين في جنوبِ لبنان، ويعمل منشداً منذ عام ١٩٩٨، وشارك بالقتالِ في سورية، حيث أصدرَ عِدَّة أناشيد تمجِّد حزبَه الشيعي، أهمها: "اِحسِم أمرك في يَبرود"، "اِحسِم أمرك في رنكوس"...

عقدت في الآونة الأخيرة اجتماعات سرية بين مسؤولين روس وإيرانيين, بوجود بعض الشخصيات العلوية, لمناقشة خليفة بشار الأسد في المرحلة الانتقالية.

مايا انجيلو ...
شاعرة الفقراء التي اهتم بها الرؤساء

لا أزالُ أنهضُ ..

قصيدة: مايا أنجلو
ترجمة: جميل عزيز محمد

يمكِنكَ أنْ تُدَوِّنَني في التاريخ
بأكاذيبِكَ المُرَّةِ الملتوية.
ويمكنكَ أن تدوسَني في الوحلِ،
لكنّني، وكالغبار، لا أزالُ أنهضُ...

هل أنَّ وقاحَتي تزعِجكَ؟
لماذا أنتَ متَجهمٌ بالكآبة؟
هل لأنني أسيرُ وكأنّي
أملِكُ آباراً للنفطِ
تضُخُّ في غرفةِ معيشتي؟

وكالأقمارِ، كالشُّموسِ،
وبِثقةِ تيَّارات المدِّ،
وكالآمالِ القافزَةِ للأعلى،
لا أزالُ أنهضُ...

هلْ تريدُ أن تراني منكسِرةً؟
حانيةَ الرَّأسِ خافِضةَ العيونِ؟
أكتافي نازلةٌ كقطَراتِ الدموعِ؟
ضعيفة مِن صَرَخاتِ روحي؟

هل أنَّ غطرَستِي تُهينكَ؟
هل تعتبرُها قاسية ً وشنِيعةً،
لأنّني أضحك؟
وكأنَّ لديَّ مناجمُ ذهبٍ
تحفرُ في باحةِ بيتِي الخلفيَّةِ!

يمكنُ أنْ تُطلِقَ عليَّ كلِماتِكَ،
ويمكنُ أنْ تقطعَني بعُيونِكَ،
ويمكنُ أنْ تقتُلَني بكراهيتِكَ،
لكنّني كالهواءِ،
لا أزالُ أنهضُ...

هل أنَّ أنوثَتي تزعِجُكَ؟
هل أنَّها تأتيكَ كالدَّهشةِ،
لأنّني عندَما أرقصُ؛
وكأنِّي أجِدُ ماساتٍ بينَ فخِذَيَّ!

مِن أكواخِ عارِ التّاريخِ أنهضُ،
ومنَ الماضي المُتجذِّر بالألَمِ أنهض..
أنا محيطٌ أسودُ متوثبٌ وعميقٌ...
أتصدَّى للتّيارِ برَباطةِ جأشٍ وغُرور،
تاركةً خلفِي ليالي الرُّعبِ والخوفِ..
إنّني أنهضُ...

عندَ الفجرِ المُدهِشِ المُشرقِ أنهَضُ
حاملةً المواهبَ الموروثةَ من أسلافي..
إنّني الحُلمُ والأملُ للعبيد...
إنّني أنهَضُ،
أ نهَضُ ،
أنهَضُ.. .

Still I Rise..

You may write me down in history
With your bitter، twisted lies،
You may trod me in the very dirt
But still، like dust، I ll rise.

Does my sassiness upset you?
Why are you beset with gloom?
Cause I walk like I ve got oil wells
Pumping in my living room.

Just like moons and like suns،
With the certainty of tides،
Just like hopes springing high،
Still I ll rise.

Did you want to see me broken?
Bowed head and lowered eyes?
Shoulders falling down like teardrops.
Weakened by my soulful cries.

Does my haughtiness offend you?
Don t you take it awful hard
Cause I laugh like I ve got gold mines
Diggin in my own back yard.

You may shoot me with your words،
You may cut me with your eyes،
You may kill me with your hatefulness،
But still، like air، I ll rise.
Does my sexiness upset you?
Does it come as a surprise
That I dance like I ve got diamonds
At the meeting of my thighs?

Out of the huts of history s shame
I rise
Up from a past that s rooted in pain
I rise
I m a black ocean، leaping and wide،
Welling and swelling I bear in the tide.
Leaving behind nights of terror and fear
I rise
Into a daybreak that s wondrously clear
I rise
Bringing the gifts that my ancestors gave،
I am the dream and the hope of the slave.
I rise
I rise
I rise.

، وُلِدت في الرابع من نيسان عامَ ١٩٢٨ في ولاية آركانساس الرّيفيّة المعزولة. عُرفت كفنانةٍ متعدِّدة المواهب، فإلى جانب الشعر مارستِ التمثيلَ، وكتبت وأخرجت عدَّةَ أعمالٍ للمسرح، وكانت مُطربة موهوبة أيضاً.

نالت جائزةَ بوليتزر، ورُشِّحت أكثرَ من مرَّةٍ لجائزةِ الكتاب الوطنية. رحلتْ يومَ الأربعاء في الثامن والعشرين من أيار عامَ ٢٠١٤ عن عمرٍ يناهزُ ستةً و ثمانينَ عاماً.

ثورةُ الحُريَّة

شعر: وضّاح قره بللي

في بداية الثورة أعطاني صديقي الرَّاحلُ وضّاح قره بللي (أبو صبحي) نصَّ هذه القصيدة، وقال لي: "أنشرها بإسمك"؛ بسبب خوفه من تَبِعَات الموضوع؛ ووجودِه في مِنطقةٍ خطِرةٍ تعجُّ بقطعانِ الأمنِ والشبّيحة!

قلتُ له: "أنا لا أنشر أشياءَ ليست لي!".

صمتَ بُرهةً، ثم عقّب: " إذاً خبّئها عندَك حتى يأتي وقتُها".

أجبتُ: "سأنضِّدها وأتركها لزمنٍ آخر"....

مرَّتِ الأيامُ، حاولتُ فيها مِراراً إقناعَ وضّاح بترك مناطق النظام والمجيء إلى القسم المحَرَّر؛ لكنَّ كلَّ محاولاتي باءَت بالفشل.. كان متعلقاً جدّاً ببعض الأماكن هناك: الحديقة العامة، النادي العربي الفلسطيني، مقهى البستان (حنا كعدة)، المطعم العمالي...

مرِضَ وضّاحٌ بسَرطان البنكرياس، وقاومَه بشجاعةٍ نادرةٍ؛ لكنّه لم يستطِعِ الصُّمود أكثر؛ ففارق الحياة بهدوءٍ وصمتٍ حزينٍ.

وقف الشاعرُ وضاح قره بللي مع ثورة شعبه السُّوريّ منذُ اليوم الأولِ لانطلاقتِها؛ لأنه كان يكرهُ الظلمَ والاستبدادَ، ويعشق الحريةَ والجمالَ والطيور والأشجار العالية...

وفاءً لذكراه العظيمةِ تنشر مجلة "المِرآة" قصيدتَه التالية، لأنه كان مبدِعاً حقيقياً لم يأخذ حقّه في بلدِ التماسيحِ الأدبيَّة والحُثالاتِ الأسديَّة...

يا بحرُ كم أخفيتَ أقدامَ السُّفنِ وما زلتَ تمشي؛
مازلتَ تُوسِع ضِحكَتَك الزرقاءَ في أعينِ الغَرقَى،
وأحفادِ العراةِ على مناقيرِ الصَّخرِ..
طحالبُ الوقتِ تغسِلُ أوجاعَها برغوةٍ مِلحِيَّةٍ
كسُكّانِ عفنِ الخُبزِ ينمُونَ بالإهمالِ.
وهذا الواهنُ،
هذا العجوزُ يقاوِمُ أدراجَ القَبوِ بمجاديفَ قدميَّةٍ...
الشاطِئيُون القدامى – الشاطئِيُّون الجُددُ
احتمَوا بمظَلّاتهم والتحفوا الجهاتِ..
مَن يطرُق بابَ الهواءِ لا يُضنِيه أحدٌ
فقراءُ الشّامِ بِلا وطنٍ،
فقراءُ البحرِ بِلا قواقِعَ،
فقراءُ الخبزِ بِلا سنابِلَ...
مَن يتذكّرُ القرويّين المارعيّين،
العندايّين، التل رفعتيّين، الإعزازيّين،
البِنّشيين، الجَرجنازيّين، كفرنبليين،
جسر الشغوريين، كفر التخاريميّين،
كفرزيتيّين، اللطامنيّين..،
يتركون منازلَهم، قُراهُم، أراضيهِم،
ويلتفتوا لَفتةً أخيرةً لبصمَاتِهم،
وهي تنموا على أحجارِ الدَّربِ...
المارعيُّونَ دفنوا خُطاهم بأقلِّ الخوفِ
وأكثرُ ما يُحكى عنِ التّأويلِ،
لتَخرجَ السَّماءُ في المساءِ تلمُّ أعقابَ الأبوابِ..
أبوابٌ متقابلةٌ كوُجوهِ الإغريقِ بعَينٍ نُحاسيَّةٍ وطارقٍ مُلَثّمٍ...
المُدنُ البعيدةُ خذَلَتْهم في سِنينِ القحْطِ،
وكذلكَ بأعوامِ الرَّخاءِ.. إتّجهوا لأعلى
اليقينِ لطرقاتِ الغريزة!
مَن ينجو مِن قَبضةِ مِخلبٍ؟
مَن ينجو مِن لدغةِ أفعى؟
العصافيرُ نامَت كَكُرَاتِ الصُّوفِ
تنسُجُها الرّياحُ كنْزاتٍ للتساؤلِ،
شأنُها كالنّائمينَ في العراءِ يتوجَّسُونَ
حريرَ المُجَنزَراتِ..
المارعيُّونَ تركوا منازلَهم وقِبلتُهم لا على اليقينِ
في الكفَّينِ الضَّارعتَينِ إلى اللهِ...
البابُ المفتوحُ لاستقبالِ الرَّسائلِ،
بابٌ لا يطفِئُ الموبايلَ
فُتحتْ هواتِفُهم باتجاهه،
صودِرت كلماتُهم وكلٌّ نُفيَ حسبَ الاسمِ...
لو كنتُ سلحفاةً لعلّمَني ظهري النَّجاةَ،
لو كنتُ سمكَةً لعرَفتُ السِّباحةَ في المياهِ الآسِنَةِ،
لو كنتُ فراشةً لعلّمتْني الحِيلةُ معنى النّجاةِ،
لو كنتُ ذا مِخلَبٍ لعلّمَني الجرحُ بُرودةَ الأعصابِ،
لو كنتُ، لو كنتُ... لكنّني بشرٌ نجاتي بالعبوديَّة – هكذا قالوا!
القرويُّون بذروا أنفسَهم لموسِمِ الحُرّيَّةِ؛

وحَصَدوا خرابَهم بصُراخِ الوطنِ:
حُرّيّة، حُرّيّة..؛
وتِلالٌ من الشّهداءِ!
حُرّيّة، حُرّيّة.. وأرتالٌ من الحديدِ والفولاذ!
حُرّيّة، حُرّيّة.. نيرانٌ تعصِفُ بالكلماتِ، تعصِفُ بالأحجارِ..،
ومُدنٌ تُدفَنُ فوقَ مُدنٍ...
مَن رأى الياسمينَ يُعصَرُ في بنوكِ الدَّمِ؟
مَن رأى طفلاً ممزوجاً بأقداحِ الكوكتيل؟
مَن رأى أرتالَ المعاني تصبُّ في مطحَنةِ الإعلامِ الرَّسميّ؟
كان يسير باتجاهِ الزنزاناتِ العتيدة
ويكتبُ بأظافره على الكلسِ؛
مسقِطاً ديكتاتورَ الشامِ!
مَن رآنا نفتحُ بالدمِ بواباتِ حناجِرنا
ونجرُّ القتلى بحبالِ النّايلون؟
مَن رآكُم تختبئُون بملِ الطّبخ، تُجهّزون الولائمَ للسَّادةِ الشرفاءِ،
للسَّادةِ المصنعوين مِن العاجِ والمُخملِ،
مِن السّلفان،
مِن أسنانٍ لا تَتَآكل بالأحقاب،
مِن جلدِ التماسيحِ وقرونِ البقَرِ الوَحشيّ؟..
مَن رآكُم تختبئُونَ بقدَّاحاتِ اللوردات
لإشعالِ السَّجائرِ الكوبيَّة؟
مَن رآكُم تَرفعونَ كُؤوسَ الفودكا الرُّوسية،
وأنتُم تشهدوننا نموتُ بالرَّصاصِ الحيّ؟
مَن رآكُم تلبَسون لِحيةَ فيدل كاسترو وشواربَ ستَالين؟
مَن رآكُم في أسواقِ الشيوعية تشترُون فائضَ القيمةِ وترفعون الأعلامَ الحمراءَ؟
مَن رآكم تتقلّدون أوسمةَ هتلرَ وصُلبانَه المعقُوفة؟
مَن رآكم؟... فهنا الحَلبَة:
يدخلُ ثورٌ وجمهورٌ يقفُ على الأدراجِ..
تدخلُ ثِيرانٌ،
وطفلٌ وسطَ الحشدِ الهائجِ يغطسُ في الدَّمعِ،
يغطسُ في حُنجرةِ أحدكم..
إنّه يسبَح في أمطارِ طفولته،
إنّه يُمسك إصبَعه، يرفعه خلف المعممة،
خلفَ طيورٍ لامسَها ذاتَ ربيعٍ،
زارتْه ذات وطنٍ...
أنا السّوريُّ: الحِمصيُّ، الحَمويُّ،
الدَّرعاويُّ، الدَّيريُّ، الشاميُّ، الإدلبيُّ،
الحلبيُّ، الحسكاويُّ، الرَّقّاويُّ، الساحليُّ،
السوَيداويُّ، القنَيطرويُّ، الجولانيُّ.. أنا
من أحرارِ فلسطينَ!
لِنلمَّ بقايانا أيُّها الوطنُ؛
فما عاد في الطّرقاتِ والساحاتِ،
ما عادَ في إعلانات المسيبةِ والخارجةِ عن القانون،
ما عاد في صناديق التبرعاتِ إلا المافيا،
إلا صورةُ معتوهٍ يضحكُ،
يلبَسُ تاريخَ الظلمِ،
يرثُ تفاصيلَ القتلِ عن والِدِه،
يحتفظُ ببرابرةٍ منزوعي العقلِ
أصحابِ رؤوسٍ جلديةٍ،
حملوا سكاكينَ مشحوذةً وهراواتٍ وبنادِقَ؛
حُمِلوا على دباباتٍ روسيّةٍ وطلقاتٍ من مختلِف الجنسياتِ...
تراهم كبقايا غسيلِ المَوتَى؛
زجاجُ أعينهم مسامِيرُ ضمائِرهم؛
عنوانُ عقيدتِهم: القتلُ المُفرِطُ!
يا صُنّاعَ هذا الألمِ الوحشيّ كيفَ أعدّكم
سادات الألمِ وملوك الهمجيَّةِ؟
كيفَ استقبلكم وأبثّ أوامرَه في غُرَفِ التعذيبِ؟
أن يقتلَ حمزةَ وفاطمةَ وآلافَ الأطفالِ،
أن يسحَقَ مُدناً مأهولة،
أن يدفِنَ سُكّاناً مازالوا بحرارَتِهم،
أن يعصرَ عقولاً طازجة ويشربَها في حفلِ مساءٍ...
أيُّها الرُّوس الجُدُدُ مازالت عقائدُكم تفوحُ في جواربِ كمبوديا،
وفنادقِ حلبَ الرخيصة..
جبالُ أفغانستانَ شاهدة على مرور دِبَبكمُ المجنزرة!
مازلتم تشربون دماءَ الشّيشان!
أسلاكٌ شائكة مشعراتٌ للفحصِ الدّوريّ،
أقبيةٌ تحتَ الأقبيةِ،
جبالُ الكتبِ المَسمُومة،
بنوكُ الدَّمِ الأبيضِ،
أفواهٌ مفخّخةٌ بالكذِبِ،
حقولُ هراواتٍ بدلَ سنابلِ القمحِ،
إستبدادُ البازلتِ ومصانِعِ أقنعةٍ،
ساحاتٌ جماعيَّةٌ للدّبكةِ وشربِ المَتّة،
وشعاراتٌ ممتدَّةٌ حتى مساكنُ النمل،
ومصَّاصُو العظم...
أباطرةُ التعذيبِ وأكَلَةُ اللّحمِ النّيءِ،
خونةٌ بالمورّث،
قَوَّادُو الأرملةِ السوداء،
خيَّاطُو المَصلِ الدَّمويّ،
تجَّارُ البارودِ الأسود،
كُتّابٌ يسرِقونَ بالفطرة،
دكاترةُ الذبحِ اليدويّ،
مزاميرُ التهريجِ،
حَلباتُ التصفيقِ الآليّ،
خَوَنَةُ نُخاعِ الدّمِ،
وجماهيرٌ مسبقةُ التعليبِ صالِحةٌ لغذاءِ الغُولِ؛
صالِحة أن تُفتَحَ بالسّكين، بالأحذيةِ، بالنّيران،
وتُوضَعَ تحتَ دواليبِ الدّبّاباتِ..
تُدهَنُ بالأرصفةِ،
تُدهَنُ برغيفِ القِطَطِ،
تُطعَمُ لكلاب الساسة،
تَتَعفّنُ شاءَت أم أبَتْ..
سُكّانٌ محجُوزُون بكعبِ شظيّةٍ،
جماهيرٌ كالذلّ بِمَمرَّاتِ شِعارات الحزب،
زنازينٌ للوردِ الأبيض،
لأطفالٍ تعدّوا حدودَ الحزنِ،
لقصائدَ تدخلُ حقلَ القلبِ،
لصبايا لبِسُوا قميصَ الوطنِ،
ونساءٍ يدفِنَّ شهيداً تِلوَ شهيدٍ...
بعدَ عبورك خطَّ القتلِ لا تلتفِتْ للوراءِ
إنّهم يحرِقونَ القُرى!
بعدَ عبورِكَ خطَّ القتلِ لا تلتفِتْ للوراءِ
إنّهم يحرِقون المُدنَ!
وبعيداً حيث دخانُ البقايا يلمُّ دخانَ البقايا،
يوقّعُ ذاك الطفلُ بقايا شهادتِه: "إرحل"؛
توقعُ تلكَ الجثثُ المطبَقةُ كأسنانِ المشطِ: "قاتِل"!
وذاكَ الهرمُ بتفاصيلِ الوجهِ،
بشقوقِ الأرضِ،
بثورتِه على الاستعمارِ،
لم يفرّق بين حاكِمِه الآنَ ومُحتَلِّه آنذاك؛
حملَ عصاه إبَّانَ شبابِه،
وصرخَ بأعلى صوتِه: "سندوسُ عليكَ يا أسد!".

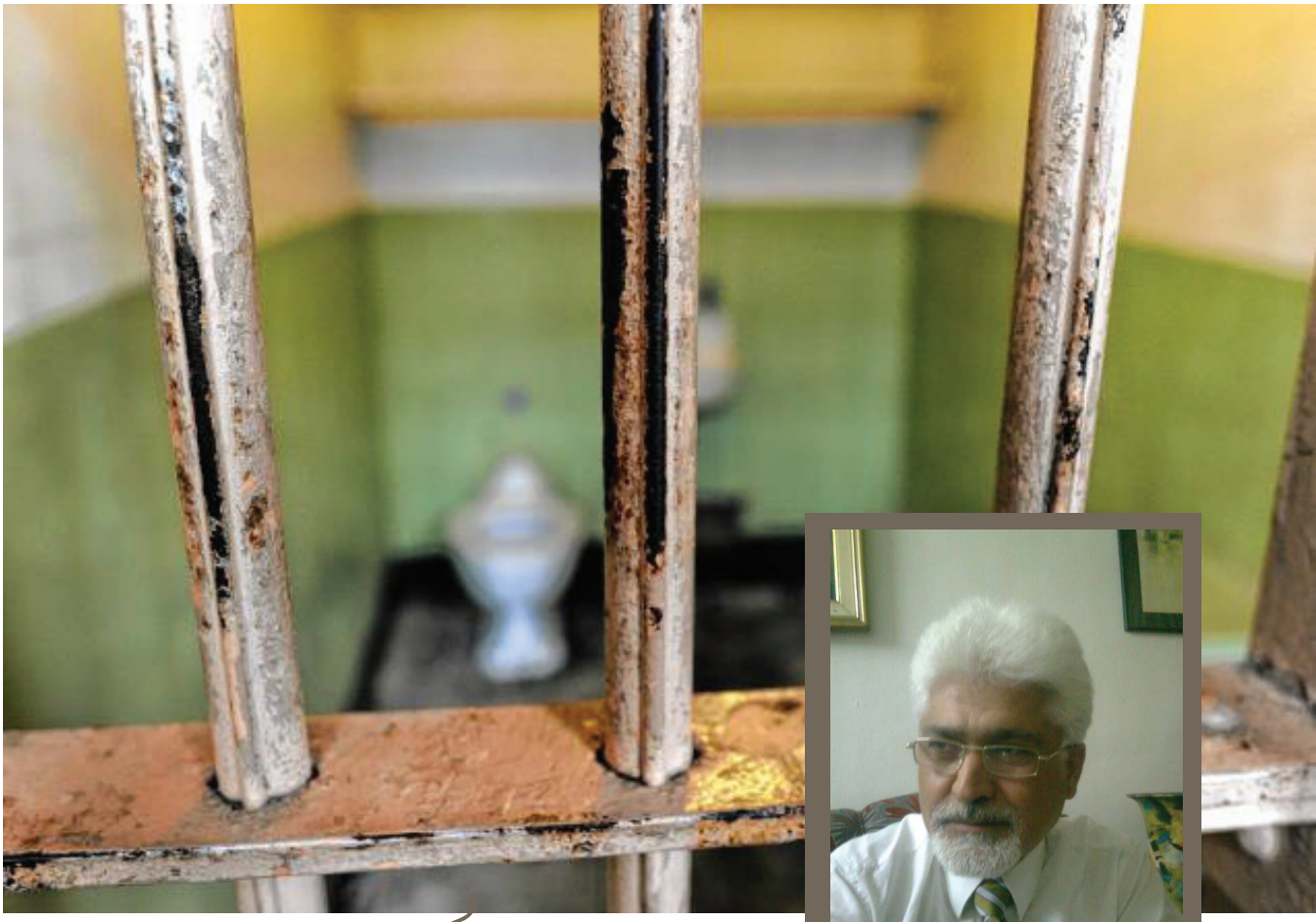

غرفةُ الحَجز

قصّةُ أحمد خيري *

عندما اتصلوا به انقبضَ كلُّ شيءٍ فيه ..خفقَ قلبُه، ولكنّه شعرَ بِبَعض الفرح.. على الأقلِّ سيستريحُ من لسانِ زوجته و(ن قّها). وعلى أثَر هذا الشعورِ مشى إليهمْ بخُطُواتٍ واثقةٍ..

"ماذا يريدون منّي الآن؟"

- كانتْ نبرةُ صوتِه هادئةً رزينةً وهو يتحدثُ مع نفسه، لكنها كانت أيضاً خائفة. عندما وقفَ أمامَ المبنى الضخمِ نسيَ زوجتَه ولسانها، ولم يتذكر سِوى أنه خائفٌ.. سأله أحدُ الحُرّاس:

-ماذا تريد؟

نظر إليه وتلعْثَم:

- لقدِ اتصلتم بي وطلبتم منّي الحضورَ في هذه الساعة.

- إذهبْ إلى غرفة الاستعلامات... هناك تناولَ شخصٌ منه هويّته والموبايل ثمّ أعطاه قُصاصةً صغيرةً، وأشارَ له برأسه:

- إذهبْ إلى الطابقِ الأول... وجدَ نفسه بعدَ مسيرٍ لم يطُلْ، في ساحةٍ كبيرةٍ، وقد ذهب الفرح منه نهائياً، وبدأ الخوف يركبُه.. صعدَ الدّرج... في الصالة سأل أحدَهم: "أين أجد...؟"، وناوله القُصاصة.. نظر الشخصُ إليه بطرفِ عينِه:

- هناكَ في تلكَ الغرفة.

عندما احتوته الغرفة وجدَ نفسَه محاصراً بينَ جُدرانٍ قاتمة الألوان وطاولةٍ فوقَها أكداسٌ من الأوراق و(الدوسيهات)، يجلس خلفَها شخصٌ أربعينيّ.. رمقَه بنظرةٍ، وتناول منه القصاصةَ.. تركه ينتظرُ وهو يُملي على العنصرِ الجالسِ أمامَه تعليماته، وكأنه يُسجّل ضبطاً. بعد انتظار، وكأنه قد نسيَه، رفع وجهَه صوبَه.. هزّ برأسِه وصرخَ على عنصرٍ كانَ يقفُ خارجَ الغرفة. وعندما حضر أشار له برأسه قائلاً:

- خذه إلى غرفة الانتظار! سحبني ذلك العنصرُ، وكأنّه

كان ينتظرُ منه هذه الكلمةَ منذُ ألفِ سنةٍ، دفعني أمامَه وأدخلني غرفةً.. كان الخوفُ قدِ استوطن في داخلي بشكلٍ كليٍّ.. عندما فتحها رمتِ الغرفةُ أنفاسَ كلِّ الأشخاصِ الذين يقبعون فيها على وجهي، (بحلقتُ) في الوجوه والمكان: غرفةٌ لا تتجاوزُ الستةَ أمتار طولاً وأربعةً عرضاً، كانت تحتضن حوالَي أربعينَ شخصاً . وفورَ دخولي اتجهتْ عيونهم صَوبي وأخذتْ تتفحصُني بريبة، ثمّ أحاطوا بي وبدؤوا يَمطرونني بالأسئلةِ عبرَ نظراتٍ مستغربة.. وجدتُ نفسي بينهم كالأبْلَهِ!

صرخ رجلٌ فيهم: "إفسحوا له مكاناً يا شباب، يبدو أنه ابنُ ناس".

وأخيراً وجدت نفسي اَستقرُّ على كرسيٍّ أسودَ بجانب رجلٍ ستّينيّ.. كانت دقاتُ قلبي قد أخذت تخفق بجنون، وقد أخذَ الأشخاصُ الواقفين في منتصفِ الغرفة يميلون كأمواج مجنونة. وبعدَ أنْ هدأ الموج قليلاً بدأتُ أتعرفُ على تضاريسِ الوجوه.. كان يبدو عليهم جميعاً أنهم من أصحابِ السّوابق، سِوى بعضِ الجالسين على المقاعد، فقد تبيّنَ أنهم سياسيون. أما الباقي، فاختلاسٌ وسرقة وأشياءٌ لم أسمع بها من قبل... حاولَ بعضُهم في البداية أن يتحرشَ بي، ولكنّ الرجلَ الستينيَ الجالسَ بقربي رمقهم بنظرة، فكفوا بلاهم عني. جلس بجانبي، على الطرفِ الآخر، رجلٌ متوسطُ العمر، وهو ينظر في نقطةٍ منَ الغرفة، لا يحيدُ بنَظره عن تلكَ النقطةِ ..مضتْ ساعةٌ وأنا غيرُ مصدّقٍ ما أنا فيه.. مرَّ شريطٌ منَ الذكرياتِ والأحداث، تذكرتُ زوجتي ولسانها، الأولادَ. وتمنيتُ أن يطولَ لسانها أمتاراً، وألا أكون هنا. مضتْ ساعاتٌ... وبينَ مدةٍ وأخرى كان البابُ يُفتحُ ويَخرجُ من الغرفة شخص، يغيبُ نصفَ ساعةٍ أو ساعةً ثمّ يعود، وبعضُهم لا يعود!

وكانت تأتينا بعضُ الأصوات: صُراخٌ وسُبابٌ وشَتمٌ. فكنتُ أنكمشُ على نفسي، وأنا أفكّرُ بمصيري.. وعندما صارتِ الساعةُ الرّابعةُ صباحاً، لم يبقَ في الغرفةِ سِوى بعض الأشخاص، نهضتُ وأنا أنزعُ عن كتفي صرصاراً صغيراً أشقرَ: "لعمه في عز الشتاء توجد صراصير!".

فتحتُ بابَ الغرفة وصِحتُ بصوتٍ خائفٍ:

ـ لماذا أنا هنا؟ هلْ يقولُ لي أحدٌ لماذا أنا هنا؟

ووجدت بابَ الغرفةِ التي دخلتها أولَ مرة يُفتح ويَخرجُ منه شخصٌ، إتجه نحوي وصرخ: "لماذا ترفعُ صوتك؟". ثم قادني إلى ذلك الشخصِ الأربعيني، الذي نظرَ في وجهي وابتسمَ وقال:

ـ تريدُ أن تعرفَ لماذا أنتَ هنا؟!

قلتُ بخوفٍ:

ـ نعم أريدُ أن أعرف!

وقبل أن يقولَ كلمةً نظر إلى ساعته وتمطّى في كرسيّه: "الآن لم يبقَ لدينا وقتٌ" ـ وتشاغلَ عني بلَمِّ الأوراق التي كانت مكدّسةً أمامَه ـ "إذهبِ الآنَ وغداً في السادسةِ تكونُ مزروعاً عندنا"، وناولَني قصاصةً ورقيّةً صغيرةً، كان مكتوباً عليها اسمُه وتوقيعُه. وعندما طلبتُ منه الهوية، نظرَ إليَّ وقال: "ستبقى عندنا!". وفي اليوم التالي تكررتِ العمليةُ نفسُها. وهكذا أخذتُ أقضي أيّامي معهم، بعد أن صارت مليئةً بالخوفِ والرّعب.. في الليل عندهم، وفي النهار أذهبُ إلى العمل خائفاً (مكركباً)، وأنا لا أعرف سببَ هذا كلِّه.

وأخيراً لم ينقذْني من هذا كلِّه سِوى مديري في المؤسسةِ التي أعملُ فيها. ففي يومٍ استدعاني إلى مكتبه، وكانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة. جلست فترةً أراقب، وأنا أنتظر منه حركةً أو لَفتةً تنقذني ممّا أنا فيه. وكان لي ذلك عندما طرقَ البابَ ودخلَ ذلكَ الشخصُ الأربعينيُّ بكاملِ هيبتِه وصرامتِه، سلّمَ على المدير وجلس مفرجاً ساقيه أمامي، وأنا مأخوذٌ به وبحضوره.. بعدَ أن شربَ قهوتَه، ناوله المدير ظرفاً أبيضَ.. تناوله منه، وقبْلَ أن يخرجَ لم ينسَ أن يسلّمَ على المدير، وهو ينثر ضحكاتِه في الغرفة وعلي أيضاً. وكنت أنا كالمأخوذِ والمذدوغ .. لم ينتشلْني من حالتي سِوى صوتُ المديرِ وهو يقول لي:

ـ أنتَ الآن حُرٌّ، فاذهبْ وكن عاقلاً من الآن فصاعداً، ولا تتدخّلْ في أمور غيرك من المسؤولين.

وقبْلَ أن أخرجَ قال:

ـ الظرفُ الذي أخذه المساعدُ سأقتطعه من راتبكَ!

نظرت إليه وأنا غيرُ مصدّقٍ:

ـ وما هو المبلغُ الذي دفعتَه له؟

ـ لا عليكَ سأقسطه لك كلَّ شهرٍ ألفَي ليرةٍ، وخلالَ سنةٍ واحدةٍ فقط!

* أحمد خيري: كاتبٌ وصحفيٌّ من مواليدِ دمشقَ ١٩٦٦، عاش جُلَّ عمره بحلبَ. شارك في العديد من المحاضرات والأمسياتِ الأدبية، ونشرَ نِتاجه في معظم الصحفِ والمجلّات المحلية والعربية. نال العديدَ منَ الجوائز الأدبية في القصّةِ القصيرة، ويقيم حالياً في سويسرا...

ثقبٌ في الحائِط

قصة: بلال كنج *

بما أنَّ الساحةَ التي يأخذها الناسُ مكاناً للتظاهر قريبةٌ من بيتنا، قمتُ بحفر ثقبٍ صغير، بحَجم تكويرة العين، بالحائطِ الذي يُطلُّ على الساحة.

منَعني أبي، في وقتٍ مضى، من الخروج معهم خوفاً على سلامتي، لذلك قمتُ بحفر ثقبٍ أرى من خلالهِ كلَّ الأحداث أوَّلاً بأوَّل، وأفرِغ قُرارتي المليئةَ بالانفعال .ولكي لا أشعرَ بالذنب أكثرَ، أكتبُ قِصَصي وأقتبسُ الصورَ على أرض الواقع وبِالعين المجرَّدة .

أقوم بتحضير ورقةٍ وقلمٍ، وأضع عيني في الفجوة الصَّغيرة وأراقب الناس وأكتبُ .

مضى أكثرُ من شهرٍ وأنا على هذه الحال، ولم أخرجْ بمظاهرةٍ واحدةٍ، كان أبي حازماً بقرارهِ بألا أخرجَ، لذلك كنت أكتفي بالنظرِ من خلالِ ذلك الثقب. لكنْ في الحقيقة هو أكثرُ من ثقبٍ، كيف على شخصٍ مثلي أن يرى كلَّ ما يحصلُ من قتلٍ وترهيبٍ من خلال ثقبٍ صغيرٍ؟!

أحياناً أتمنّى أن أخترقَ هذا الجدارَ بركلةٍ واحدةٍ، وأخرجَ لأشارك هؤلاءِ الناسَ بما يُرضي اللهَ ويُرضيهم وترضى به نفسي. لكنَّ أبي وضع حاجزه السَّميكَ أمامَ قلبي، وتركَ عيني حُرةً ضمن ثقبٍ صغيرٍ كهذا .

أحياناً عندما أرى شاباً بعُمر الورد يُقتل رمياً بالرصاص أمامَ عينيَّ، أحدِّث نفسي بأنَّ أبي على حقٍّ.. ما معنى أن يفقِد أبٌ ابنَه بهذه الطَّريقة؟ أظنُّ أنهم خرجوا دونَ عِلم أهلهم؟!

تتضارب الأفكار تارةً وتتوحَّد تارة، لكن ليس باليد حِيلة!

ذاتَ يومٍ كعادتي قبلَ خروج المظاهرة قمتُ بإحضار ورقةٍ وقلمٍ وجلست أراقب خروجَ الناس، لكن الغريبَ بالأمر أنّه مضى أكثرُ من ساعتين ولم أرَ شخصاً واحداً.. السَّاحةُ مازالت فارغة تماماً.

مستحيلٌ أن تنفضَّ المظاهرة بهذه السُّهولة!

بدأتِ الشكوكُ تحوم فوقَ رأسي، والورقةُ ما زالت فارغةً أمامي، وأنا أنتظرُ حدَثاً ما لأدَوِّنه.. هل غيَّروا المكانَ مثلاً؟ أم أنهم تراجعوا عن مطالبهم؟

لا، لا... لا أظنّ، فقد أصبح في كل بيتٍ شهيدٌ. ولا يمكنهم خذلانُ شهدائِهم بهذه السُّهولة!

مضى وقتٌ طويلٌ ولم أشاهِد أيَّ شخص، حينَها قرَّرت أن أكسِرَ كلامَ والدي وأخرجَ لأرى ما يحصل.

وبما أنَّ هذا الوقتَ هو موعدُ قَيْلولة أبي، خرجتُ خِلسةً دونَ أن يشعر أحدٌ...

ما إن أصبحت في الخارج، وسَطَ ساحةٍ كبيرةٍ، بدأتُ ألتفِتُ يميناً وشمالاً.. أركض تارةً وأقف.. لا أحداً هنا!

بدأت ألتفِتُ حولَ نفسي وأصرخ:

ـ أين ذهَبوا يا الله؟ هل دمُ هؤلاءِ راح سُدىً؟ أين أنتم؟ هيّا اخرجووو.. ..لكنْ لا حياةَ لِمَن تنادي!

فجأةً، وإذ برصاصةٍ تستقِرُّ برأسي. لكنَّ الغريبَ أنّني ما زلتُ واقفاً، ألتفِتُ وأصرخُ دونَ أن أشعرَ بشيءٍ!

ـ أين أنتم؟ هيّا اخرجووو...

لكن لا جدوى.. فإذ برجلٍ أمسك يدي، وراح يسحبني بقوّة ..!

ـ هيييّ من أنت؟.. أخبِرني من أنتَ لماذا تسحبُني هكذا؟ أرجوك أخبرني أينَ الناس؟

ضحك ضحكةً طويلة، وأشار بإصبَعهِ نحوَ الحائطِ المطلِّ على الساحة، وقال:

ـ كلّهم خلفَ ذلكَ الثقبِ الصَّغير يا صديقي يشاهدونكَ ويكتبون قِصصَهم !

* كاتبٌ سوريٌ من مواليد ١٩٨٩ مقيمٌ بلبنان .

الفنُّ التشكيليُّ في ظلِّ الأحداثِ الكبرى

إيّاد الدّمشقي

هل بإمكانِ الفنِّ أن يُزاولَ نشاطَه المعتادَ وصيرورته بمعزلٍ عن واقعِ مجتمعهِ المنكوب؟ كيف يستقيمُ وهو يَمضي متجاهلاً كلّ المآسي والويلاتِ التي تحلُّ بالمجتمع، وكأنَّ شيئاً لا يحدثُ؟ هل بإمكانِ فنّانٍ ما أن يكونَ ما كانهُ قبل اندلاع الثورات؟

ما حدثَ، وللثورةِ السوريّة تحديداً، من اعتمادِ نظامِ الإجرامِ على كل ما مِن شأنه تخريبُ الدولةِ والمجتمع دونَ رادعٍ يُذكَرُ، مُستبيحاً كل شيء وضارباً عرضَ الحائط بكل المحرّمات، وما نتجَ عن ذلك من قتلٍ وتعذيبٍ وتهجيرٍ وتدميرٍ وتدنيسٍ وهلعٍ وجراحٍ، جعل السّؤال عن أهميةِ المنجَزِ الفني، بل عن جدواهُ في ظل هذا القتلِ الجماعيّ والتدميرِ الممنهجِ سؤالاً مُلِحّاً، سيّما لدى أهلِ الاختصاص؛ فأبسطُ ما يتبادرِ لذهن الفنّان هو: ما المعنى مِن أنْ أُنتجَ فنّاً، في حين لم يُعدْ قيمةً للإنسانِ نفسِه؟ وهل من أهمّيةٍ تذكرُ لهذا المنجز؟.. هي أسئلةٌ مشروعةٌ، وإن بقيتْ دونَ إجابةٍ شافية!

لكن، أليستْ مهمةُ العمل الفنيّ هي الكشفُ، ومهمة التاريخ تسجيل هذا الكشف؟ وتالياً، أليس على الفنانِ أن يكونَ ضميرَ مرحلته الزمنيّةِ عبرَ التاريخ، والأمينَ عليها؟

عاصرَ بيكاسو الممارساتِ اللاإنسانيةَ التي مُورِستْ بحقّ مدينة غيرنيكا الإسبانيّة، والتي كان آخرُها قصفَ الطائراتِ الألمانية لها، بسبب مناهضتها لنظامِ فرانكو ـ حليفِ النازيّةِ والفاشية.

دُمّرتِ المدينةُ، وقُضِيَ على نسبةٍ كبيرةٍ من سكانها، وسَيطرَ عليها سوادٌ وظلامٌ جرّاءَ الحرائقِ، وعانتْ من ألمٍ وهلعٍ وموتٍ أصاب الإنسانَ والحيوانَ على حدٍّ سواء.. بيكاسو وأمامَ هذا المشهد المروّع للمدينة، وبعد أن تجاوز كلّ أسئلته العقيمةِ، وبأسلوبه الفريدِ المحكَمِ استطاع إنجازَ لوحته "غرنيكا" ـ اللوحة التي تُعتبرُ اليومَ، إضافةً لقيمتها الفنيةِ العالية، رمزاً لآثار الحرب وصرخةً مدوّيةً في وجهِ مرتكبي جرائمها، معبرةً عمّا حدث أعمقَ تعبيرٍ!س

ونستذكرُ هنا للتدليل على عمق الكشفِ الذي حقّقه الفنّانُ سؤالَ الضابطِ النازيّ له، وهو واقفٌ أمامَ لوحته التي عُرضت في باريسَ عام ١٩٣٧: "هل أنتَ مَن فعلَ هذا؟". فأجابه بيكاسو: "لا، بل أنتم!"...

كذلكَ، فإنّ الرسام غويا الذي عايش فترتَيْنِ زمنيّتينِ قاسيتَينِ مرّتْ بهما إسبانيا وعانتْ منهما؛ وهما:

ـ فترةُ محاكمِ التّفتيش (مؤسّسةٌ تابعةٌ لسُلطةِ الكنيسةِ الكاثوليكيّة)، التي خنقتِ الحياةَ الاجتماعيّة والثقافيّةَ بوحشيّةٍ وقسوةٍ، فكانتْ مجموعتُه "النَّزوات" ردّاً تصويريّاً قاسياً على مظاهر النفاقِ الاجتماعيّ والسياسيّ والدينيّ. تمكّنَ من خلالها وبأسلوبٍ ساخرٍ صارمٍ وعنيفٍ أن يعالجَ بعمقٍ وعاطفةٍ مشاكلَ الفقرِ والقمعِ البربريّ الذي سبّبتْه محاكمُ

التّفتيش، بسبب احتكارها السلطاتِ ومُصادرتها حقوقَ الإنسان بأدقّ تفاصيله، وكلّ ما يعني الحياةَ اليوميّةَ المُعاشةَ وتداعياتِ ذلك.

ـ الفترةُ الثانية تتمثلُ باحتلالِ قوّات نابليون إسبانيا وما تلاها من حروبِ الاستقلالِ الدّامية، حيث أنتجَ غويا خلالها ـ وقد آثرَ البقاءَ في مدريد ـ مجموعتَه "كوارث الحَرْب" التي أظهرَ فيها تأثيرَ الحربِ على الأفراد، وعواقبَ الصّراع على الجنود والمدنيّين، ثمّ آثارَ المجاعة التي ضربتْ مدريدَ. كما صوّرتِ الموتَ والدمارَ والبؤسَ والجنونَ التي تُسبّبها الحروب، ومنها لوحتُه "العملاق" التي دلّلَ بها على نابليونَ كرمزٍ للموتِ والرّعبِ الذي خيّم على إسبانيا كلّها.

اِستطاعَ بيكاسو وغويا، وبعبقريّةٍ فريدةٍ وأمانةٍ نادرةٍ، أن يحقّقا هذا الكشفَ للتّاريخِ بتلقائيةٍ صادقةٍ وبحريّةٍ صافيةٍ ونزقٍ مجنون، فكانا ضميرَيْن حيّيْنِ لمراحلَ عفنةٍ من تاريخ الشّعوب. ولا تزالُ أعمالُهما تُمثّلُ صفعةً في وجهِ الممارساتِ اللّاإنسانيّة، ورجعَ صدى لكلّ الحروبِ التي تترصّدُ بالبشرية مستنكرةً أثرَها المخزي.

هكذا، وفي ظلّ أسئلةٍ كثيرةٍ وجوديّةٍ ومصيريّةٍ تعني الإنسانَ وأسبابَ وجوده وبقائه في محيطٍ منَ المآسي والوقائع المتتابعةِ ضمنَ سلسلةٍ لا تنتهي منَ الانتهاكاتِ والجرائم، يستطيع الفنّان بحدْسِه وحِسّهِ الفنيّ وتفاعله الحقيقيّ مع محيطه المنكوبِ إدراكَ علاقاتٍ جديدةٍ غيرِ مألوفةٍ تتطلّبُ منه مرونةً في التّعاطي معَ مرتكزات الألمِ والخوفِ والقلق، وبالتّالي تفجيرَ قدراته الإبداعيّةِ الكامنة لصالحِ مُنجَزه الفنيّ. ويرتبط نجاحُ الفنان – إضافةً لقدرته التّشكيليّة الفنيّة – بمدَى أصالةِ وعمقِ إدراكه لواقعه بكلّ تفاصيله، ومدى ملامستهِ للحقيقة. وبهذا المعنى يحقّق الكشف.

وأثناءَ حديثنا عن الفنّ ودوره لابد هنا من التّمييز وفقَ تصنيفات الفنّ بين الفنّ التشكيليّ، والفنّ الشّعبيّ، وفنّ الكاريكاتير.. فالأوّلُ، وحسبَ ما ذُكر سابقاً، لا يُنتظر منه أن يدخلَ في تفاصيل الحدثِ اليوميّ أو الآنيّ، فهو يعمل فوقَ مستوى الحدث، ليس تعالياً، بل لأنه معنيٌّ بالنّظرةِ الشموليّة للواقع، وتالياً ابتكار معانٍ جديدة لهذا العالم، ما يرفدُ بحثَه الدّائم عن الحقيقة، ويحقق عَبْرَ تراكمه ـ بعدئذٍ ـ كشفاً عميقاً للتاريخ. أما الثاني والثالثُ فهما يُعنَيَانِ بتفاصيل الحَدَثِ وكلّ تلافيفه، ويَدخلانِ في مُواجهةٍ مباشِرةٍ مع السّلطةِ المستبّدة بكلّ عنفوانها وممارساتها القمعيّة،

ويقومان بتعريةِ هذه الممارسات من خلالِ الفنّ، ما يجعلُ هذا الأخيرَ ـ في هذه الحالة ـ سلاحاً لا يُستهان به لرَدْعها. لذلك فالسلطةُ المستبّدةُ تَستهدف هذه الفئةَ من الفنّانين بالدّرجة الأُولى، لارتباطها الرّحيميّ بالحدَثِ وتفاصيله. وخلالَ الثّورةِ السّوريّةِ المستمرّةِ كان أنِ استُشْهِدَ بعضُهم، واعتُقِلَ بعضُهمُ الآخَر وعُذّبَ، ومنهم أيضاً مَن هُجّر قسراً. في زمن التغيُّرات والحوادثِ الكبرى لا يكون الفنّ حِكراً على المختصّينَ فقط، بل يشمل عامّةَ النّاس، فهم ـ أي النّاس ـ يمتلكون القدراتِ والسّماتِ، لكنْ بقدرٍ يتفاوت مِنْ فردٍ لآخرَ، ومِن جماعةٍ لأُخرى، ما ينتج عن هذا أعمالاً متفاوتة، وليست بالضرورة كلّها فنّاً خالصاً، لكن يبقى لكلّ الفنون في مثل هذه الظّروفِ أهمّيةً آنيّةً أو زمنيّة كبيرةً من ناحية تشكيلٍ وازنٍ للوعي الفرديّ والجماعيّ، يمكّنُها أكثرَ منَ الاستمرارِ أو البقاء.

ولمّا كانتْ مِن أهمّ غاياتِ الفنّ هي النهوضُ بالمجتمع ـ أيُّ مجتمع ـ فالفنان بالتالي ملزَمٌ تجاهَ هذا المجتمع حين تعترضه هزّاتٌ كبيرةٌ، كالّتي تعصِفُ بسوريّةَ اليومَ. ولكن لا يُطلب منه ذلك، فاستجداءُ الفعل من فنان يُفترضُ أن يقومَ به تلقائياً قد يوقعه في فخّ الابتذالِ والمتاجرة. الفنانُ الحقيقيُّ يتحركُ مهنيّاً وأخلاقياً من تلقاءِ ضميره وَوَعْيِه وتفاعله مع أدقّ تفاصيلِ وسَطِهِ، بل كلّ عالَمه. وللثورةِ وسورية المنكوبة المفجوعة، وللإنسانية من ورائها، فنّانونَ أمناءَ حقاً عليها يحقّقون بأعمالهم كشفاً مُهِمّاً سيكتب عنه التاريخ حتماً، وهم أمثلةٌ مشرقة عمّا ذكرناه رغمَ قِلّتهم؛ وهذا طبيعيّ، فالأعمالُ الخالدةُ لها أسماؤُها المحدّدة. لكن لا بأس أن نذكر أيضاً من باب الأمانة أنّ فئةً أُخرى من الفنانين التزمتِ الصمتَ،

ولما خرجتْ عنه وعبّرتْ عن مكنونها شوّهتِ الحقيقة؛ وفئةٌ ثالثة تاجرت فنّياً بقضيةِ الشّعبِ والوطن من بابِ الارتزاق؛ ورابعة زاولتْ عملها الفنيَّ كما كانت قبلَ الثورةِ موضوعاً ومضموناً، وكأنّ شيئاً لم يحدث، وهكذا... لكن من المؤكَّدِ أنه سيكونُ للتاريخِ سِجِلاً قيّماً، ولمزبلةِ التاريخِ أيضاً ـ سِجِلاً حافلاً!

لوحة "ماسِحِ الأحذية" للفنّان لؤي كَيّالي

محمود مكّي

تميَّز الفنّانُ الرّاحلُ لؤي كيالي بمقدرته الخاصَّة على التقاط بعضِ المشاهد اليوميّة الاجتماعية المؤثرة من بيئته المحلّيَّة؛ ومن هذه المشاهد المُمَيزة، صورةُ ماسحِ الأحذية الذي نصادفُه كلَّ يومٍ تقريباً، وقد لا نكترثُ بصورته وحالته وشكلِه؛ لكنَّ لُؤيّاً تأثرَ به وبحالاته الحياتية، وهو جالسٌ خلفَ صُندوقه المتواضع يلتقط أسبابَ معيشته؛ فرسَمه بِعدَّة حالاتٍ في لوحاته التي بلغت ثماني لوحاتٍ، وبوضعيَّاتٍ تشكيليَّةٍ مختلفة، معبّراً عن حالاته بأساليبه الفنية.

كان هذا العمل الفنيُّ، لرجلٍ كبيرِ السنّ يعمل بهذه المهنة المتواضعة، من أجمل أعماله؛ فقد كان شكلُه متميزاً، خاصّة عندما وجده جالساً على كرسيّه الصغير المهترئ، وهو متكئٌ عليه بيده، في جلسةٍ قَلِقةٍ ومريحةٍ في آنٍ واحد :

ـ مريحة: لأنه يسند رأسه المُثقَل بهموم الحياة على يده المتعبة ويغطُّ في نومه العميق.

ـ قلقة: لأنه انتظر رِزقه طويلاً، فلم ينلْه بما يكفيه وقد أضناه تعبُ الانتظار الذي لا طائلَ له، فراح يغُطُّ في نومه علّه يحلم بما لم تهَبْه هذه الحياةُ القاسية. وعلبة الأصبغة المتنوعة بألوانها أمامَه تركُن بكل هدوءٍ وسكينة، تنتظر مثلَه، من يضع حذاءَه القذرَ عليها.

تأثر الفنانُ الراحل لؤي كيالي بهذا المشهد الدراميّ المأساويّ ـ فقد كان من عادته التجولُ اليوميُّ تقريباً في شوارع حلبَ لالتقاط مثل هذه المشاهد الاجتماعية ـ فوجد فيه عناصرَ فكريةً وفنية تستحِقُّ منه أن يصوغَها في عمَلٍ فنيّ مميَّز.

إن شكلَ فكرة اللوحة يوحي لنا بأن ماسحَ الأحذية رجلٌ كبير السن قد أنهكته السُّنون الطويلة من عمره، التي قضاها في العمل المضني، وكدَّه التعبُ الشديد منه، ومازال يعمل بجُهدٍ ليبحث عن رزقه القليل، متابعاً بقيةَ حياته بكلّ كرامة الإنسان وعزّته. ..

إنه رجلٌ مسكينٌ لأن الحياة أتعبته وكلّلته بالإرهاق والشقاء طولَ العمر، بحيث أصبح لا يس تطيع الجلوسَ الطويلَ أمامَ صندوقه المليء بأصبغةٍ مختلفةِ الألوان، وانتظاره الطويل لكسب عَيشِه القليل، مما جعله يمَلُّ هذا الجلوسَ الطويل المتعِب ليبحث عن لقمة العيش القليلة، وقد يجده في نومه بهذا الشكلِ المأساويّ الذي هو فيه.

إنها فكرةٌ تتميَّز بأنَّها غنيّةٌ بالمعاني الإنسانية، وقد حمّلها الفنان لؤي كلَّ مآسي الحياة، فشَيخوختُه لم تشفع له ليركن في زاوية من زوايا الحياة ويرتاحَ بعدما قدم كلَّ شبابه؛ بل إن صعوبةَ الحياة والبحث عن لقمة العيش جعلته يعملُ حتى في آخِرِ أيامِ حياته بعملٍ وضيعٍ وهو مسحُ الأحذية القذِرة للآخرين بقليلٍ من النقود.

لا شكَّ أن فكرةَ العمل في هذه اللوحة ذاتِ القيم الإنسانية والمعاني الروحيّة والنفسيّة، يتحسَّسُها الإنسانُ المتذوّق، وتُشعِره بمدى قسوةِ الحياة، مضافاً إليها قسوةُ الإنسان بحقّ أخيه الإنسان ...

أقوال

لا يقولَنَّ امرُؤٌ أصلي فما ... أصلهُ مُسكٌ وأصلُ الناسِ طِينْ
قسماً لو قدروا ما احتشموا ... لا يعُفُّ الناسُ إلا عاجزِينْ
أحمد شوقي

ليسَ أسوأ من الحظِّ السيّءِ إلا الرضا به.
نجيب محفوظ

تركُوا لنا وطناً حزيناً ضائِعاً، تركُوا الرَّبيعَ ممزَّقَ الأغصانِ...
فاروق جويدة

كلُّ حُرّيَّةٍ في صميمِها حُرّيَّةٌ روحيَّة.
علي عزّت بيغوفيتش

إنَّ مُحبّي البَشَر يفقدونَ كلَّ إحساسٍ بالإنسانيّة.
أوسكار وايلد

المَلِكُ كالبحرِ تستمدُّ منه الأنهارُ، فإن كان عذباً عَذُبَت، وإن كان ملحاً مَلُحَت.
أفلاطون

السّياسيُّون كالحفّاضَات يجِبُ تغييرُهم باستمرارٍ ولنفسِ السَّبب!
مارك توين

لَو دقّقَ المرءُ جيّداً في فَحوى موضوعاتِه التي يناقِشُها لوجدَ أنّها تمثلُ مآسيهِ الحقيقيَّة.
بدرية البشر

إنّني لا أقاومُ أيَّ إغراءٍ لأنَّ الأمورَ السيئةَ لا تُغريني أبداً.
جورج برنارد شو

رجلٌ حُرٌّ في كوخٍ خيرٌ مِن عبدٍ في قَصرٍ!
مثل نروجي

الوعيُ بالزمنِ مؤامرةٌ على الزَّمن.
إميل سيوران

فيلمُ الطبيب
محاولةٌ جادةٌ لإنصافِ العرب *

منذُ صدورِ رواية "ميديكوس" (الطبيب) عام ١٩٨٦ لم تتوقفْ مساعي المنتجين للحصول على حقوقِ تحويلها إلى عملٍ سينمائيّ، لكنّ المشروعَ ظلَّ يتعثر تارةً، ويتأجّلُ تارةً أخرى، حتى باتتِ الفكرة شبهَ مستحيلةٍ!

عندما عادتْ حقوقُ الرواية لكاتبها نوح غوردون، تجدّد أملُ المنتِج الألمانيّ فولف باور، الذي سافرَ خِصّيصاً مع زميله نيكو هوفمان إلى بوسطن من أجل الالتقاءِ بمؤلفها الشهير. في البداية لم يتحمّسْ هذا الأخيرُ لفكرة تحويل روايته إلى فيلمٍ، بسبب خبراته السيئةِ معَ المنتجين؛ لكنه وافق في النهايةِ بشرطِ ألا يُركّزَ الفيلمُ على زاويةِ المؤثرات الخارجية فحسب، بل يهتمّ بالمحتوى في المقامِ الأوّل.

وتجنباً لأيّ تحريفٍ في عَرضِ فكرته اشترطَ أنْ يقوم هو وابنتُه بكتابة النّسخةِ الأولى من السيناريو، لكنّ الأمرَ لم يكنْ بهذه البساطةِ، إذِ اضطُرّ المؤلفُ للاستعانةِ بعددٍ من كتّاب السيناريو لتحويلِ روايته إلى نصّ يَصلحُ للمعالجة السينمائيّة.

بطلُ الفيلمِ هو شخصٌ مسيحيّ يُدعى روب، يرتبط بعلاقة صداقةٍ مع ميردينَ اليهوديّ وكريم المسلمِ. ويرى المخرجُ أنّ هذه الصداقة تجسّدُ فكرةَ التعايشِ بينَ الأديانِ بشكل عام. لم تقتصرِ الروايةُ على تقديم هذا الجانب الإيجابيّ لفكرةِ التسامح بين الأديان فحسب، لكنّها تطرقت أيضاً للصراعات الدينية المتشابكة في زمن الرواية. وهذا ما شجّع المخرجَ الشابَّ فيليب شتولتسل على المشاركة بالعمل، إذ يقول في حوارٍ له: "يتعلقُ الأمرُ هنا بالدِّين، وبالصداقة عبرَ الأديان".

أظهر الفيلمُ التناقضَ بينَ إنكلترا في القرن الحادي عشر والتقدم العلميّ والثقافيّ في المشرقِ آنذاك، ففي الوقت الذي خلتْ فيه أوروبّا منَ الأطباءِ والمستشفياتِ كانَ الطبُّ يزدهرُ في بلادِ الشرقِ، التي طبّقتْ نظامَ علاجٍ متقدمٍ وافتتحت مدارسَ لتعليم الطبّ.

يعبّر المخرجُ شتولتسل عن إعجابه بفكرة إظهار التناقض بين التقدم في الشرقِ والتخلفِ في أوروبا بقوله: "نميل هذه الأيامَ لحبس الدولِ العربية في فترةِ القرونِ الوسطى. من الجيّد أن يتأنّى المرءُ لِلَحظةٍ ويفكر في الثقافة، وكم هي الأشياءُ التي نصفها اليوم بالتقدم وهي مأخوذة في الأساس من العرب.. الكثيرُ من الأشياء التي ننظر إليها اليومَ كجزءٍ طبيعيّ من حضارتنا، جاءت في الأصلِ من العالم الإسلاميّ."

يرى المخرجُ أنّ الفيلمَ ربّما ينجحُ في تعليم المُشاهِدِ احترامَ العالمِ العربيّ بالشكلِ الذي يستحقّهُ. ويبدو أنّ الانتظارَ الطويل لتحويلِ الروايةِ الناجحةِ إلى فيلمٍ قد آتى أُكُلَه، إذْ لم يخرجْ كعملٍ بصريّ فحسب، وإنما كمحتوى ورسالةٍ، لاسِيّما من خلال فريقِ عملٍ دوليّ ضمَّ أفضلَ الفنّيينَ والمختصّينَ...

* بالتصرفِ عن موقعِ قنطرة (دويتشه فيله، تأليف ريغينا رولاند)

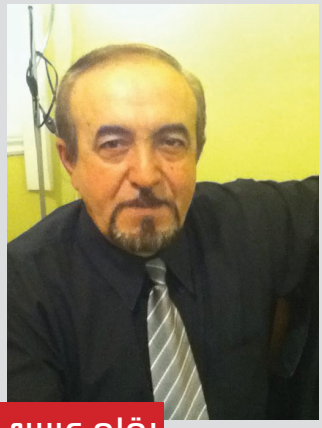

بقلم عيسى بريك*

المستبِدُّ لا يبحثُ عن شريكٍ أو رفيقٍ، وإنما يبحثُ عن أجير...

يُلِحُّ صديقي العزيز وهو يقول لي: "غاندي"! قلت له: "لو كان الجيشُ السوريُّ احتلَّ الهند لطالوا رأس غاندي من رحم أمه!".
بلدٌ حكمها مجرمون يخجلُ هتلر من جرائمهم (سورية مثلاً)، حتى معارضة هذا النظام.. من حمل السلاح صارَ أكثرُهم دواعش، ومن لم يحملِ السلاحَ صار أكثرُهم خالد بكداش، أو زهير مشارقة... استبدادٌ وفسادٌ، وضاع (الأوادم المخلصين).. صارت الخيارات: الأسد أو داعش أو ستالين، وكل مفرزاتهم... المشترك واحد، ومستعدِّين جميعاً أن يحرقوا البلدَ بحجَّة مصلحةِ البلد، لأن السّوريَّ لا يعرفُ مصلحته، وإنما هم وحدَهم من يعرفون مصلحتَه ومصلحة البلد.. يا حسرةً على دماء الشهداء الذين قُتِلوا مرَّتين: مرَّةً على يدِ النظام وأشباهه، ومرَّةً على يدِ المعارضة السياسية!!

كاتب سوري من مواليد درعا, عمل مدير تحرير جريدة "المستقبل" في مونتريال بكندا.. كذلك أسس هناك مجلة "العاصي العربي".. اعتقل مراراً, يرأس حالياً فرع "إعلان دمشق" بكندا.

مركز
الشمال والجنوب
للدراسات

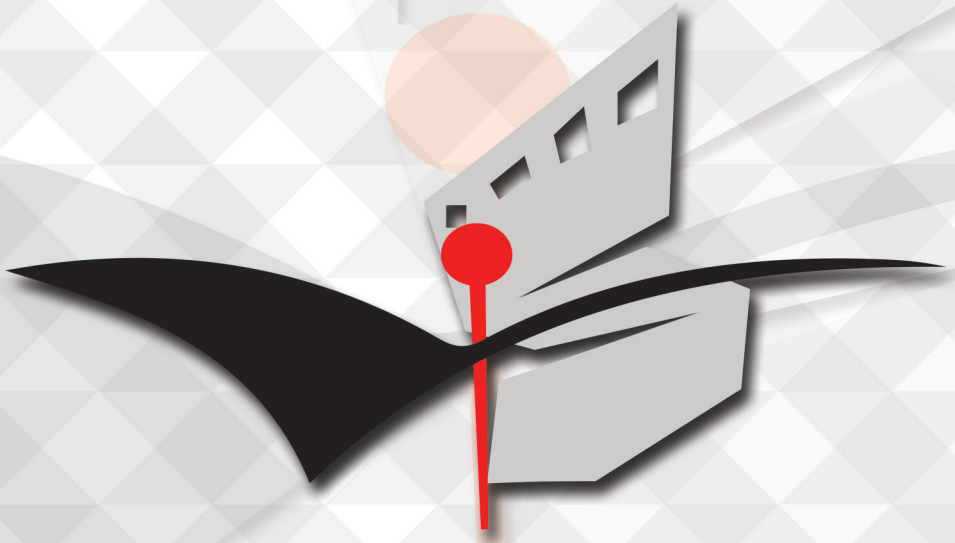

South & North For Stratigic Studies

SNSS

سوريا
ملتوف
الأيدي